

الحب بين التحليل النفسي والفلسفة: قراءة فلسفية معاصرة

لتحليل لاكان البنيوي لمحاورة "المأدبة"

د. نشوى صلاح الدين محمد محرم

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة عين شمس.

ملخص البحث باللغة العربية

قمنا في هذا البحث بإظهار العلاقة بين الفلسفة والتحليل النفسي من خلال تصور جاك لاكان لمفهوم الحب بوصفه تحويلًا من خلال قراءته التحليلية والبنيوية لمحاورة أفلاطون "المأدبة". وقد قام لاكان بالكشف عن بنية علاقة الحب كما ظهرت في المحاورة، ووصل من خلال ذلك إلى تطوير تصوره عن الحب بوصفه تحويلًا وتطبيق هذا التصور في مجال التحليل النفسي. كما قدمنا رؤية تحليلية نقدية لتصورات لاكان عن الحب في محاورة "المأدبة"، وربطه بين المحلل النفسي وسقراط.

وقد قمنا بذلك من خلال تقسيم البحث إلى مقدمة وأربع عناصر وخاتمة قدمنا فيها: أولاً تمهيداً يتضمن توضيحاً للمصطلحات الأساسية في نظريته عن التحليل النفسي وربطها بتصوراته المختلفة عن الحب. ثانياً تحليل لاكان البنيوي للخطابات المختلفة في المحاورة ثالثاً نظرية لاكان عن الحب بوصفه تحويلًا كما استمدّها من تحليلاته للمحاورة. رابعاً تطبيق هذا التصور عن الحب على جلسات التحليل النفسي وإبراز محورياته في العلاج وإبراز التوازي الذي يقيمه بين سقراط وبين المحلل النفسي. وقد تضمنت الخاتمة تأسيساً لمشروعية قراءة لاكان الجديدة عن الحب عند أفلاطون، وتوضيحاً للتشابهات والاختلافات بين تصور أفلاطون وتصور لاكان عن الحب كتحويل.

الكلمات المفتاحية: الحب- النظام الرمزي- الحرمان- الرغبة- الذات.

Love between Psychoanalysis and Philosophy: A Contemporary Philosophical Reading of Lacan's Structural Analysis of the “Symposium”

Abstract:

In this research, we show the relationship between philosophy and psychoanalysis through Jacques Lacan's conception of love as “transference” through his analytical and structural reading of Plato's dialogue "The Symposium". Lacan revealed the structure of the love relationship as it appeared in the dialogue, and through this he developed his conception of love as transference and applied this conception in the field of psychoanalysis. We also presented a critical analytical view of Lacan's perceptions about love in the symposium, and the connection that he revealed between the psychoanalyst and Socrates.

We did this by dividing the research into an introduction, four elements and a conclusion in which we presented: First, a prelude that includes illustrations of the basic terms in his theory of psychoanalysis and linking them to his different perceptions of love. Secondly, Lacan's structural analysis of the various discourses in the dialogue. Third, Lacan's theory of love as transference, as he derived it from his analyzes of the dialogue. Fourth, applying this conception of love to psychoanalytic sessions, highlighting its centrality in treatment, and highlighting the parallels that he establishes between Socrates and the psychoanalyst. The conclusion included a foundation for the legitimacy of Lacan's new reading of Plato's love, and an explanation of the similarities and differences between Plato's conception and Lacan's conception of love as transference.

key words: Love- Symbolic Order- Lack- Desire– Subject.

الحب بين التحليل النفسي والفلسفة قراءة فلسفية معاصرة لتحليل لاكان البنيوي لمحاورة "المأدبة"

المقدمة

نظر العديد من الفلاسفة والباحثين لإنتاج لاكان الفكري بوصفه فلسفة، بجانب كونه تحليلاً نفسياً، وهو ما سبقه إليه أستاذه فرويد. وذلك يرجع لعدد من الأمور منها تناوله لموضوعات من قبيل الذات والواقعي والرمزي والحب والحرمان والأخلاق وغيرها تناولاً فلسفياً، ناهيك عن ربطه للتحليل النفسي بما هو ثقافي واجتماعي وسياسي. وأيضاً لاشتباكه الدائم مع تاريخ الفلسفة كله بالقراءة والتحليل والاستخدام، ومن الفلاسفة الذين قام بتحليلهم وتقديم قراءة لجوانب من فلسفاتهم أفلاطون- أرسطو- أوغسطين- ديكارت- كانط- اسبينوزا- هيغل- هيدجر وغيرهم. وأخيراً فقد تأثر العديد من الفلاسفة المعاصرين بلاكان ومنهم، على سبيل المثال، دلوز وباديو وجيжек بل وهناك عدد من الفلاسفة يطلقون على أنفسهم اللاكانيين الجدد.

وسينصب بحثنا على الجانب الفلسفي في تناول لاكان للحب بوصفه تحويلاً Transference، وهو ما سنتناوله من خلال معالجة تحليلاته لمفهوم الحب كما تبدى في محاورة المأدبة عند أفلاطون. وجدير بالذكر أن لاكان قد قام بتطوير مصطلحات فرويد على أسس بنيوية مستعينة بالمنهج البنيوي كما ظهر عند سوسير ولفي شتراوس. وقد طور مصطلح "التحويل" وصاغ مصطلحاً جديداً مرتبطاً بموضوع الحب كتحويل وهو موضوع الآخر الصغير objet petit a نتيجة لتحليلاته المستفيضة لمحاورة المأدبة، وقد قام بذلك في السمينار الثامن تحت اسم "التحويل". فقام بالكشف عما تضمنته المحاور من إظهار للحب كعلاقة غير ندية بين ذات المحب وموضوع المحبوب، ومن تأسيس الحب على الرغبة التي تتأسس بدورها على الحرمان، ومن كشف لمحورية التحول الذي يحدث في انتقال المحبوب لمحب. كما تلاقى مع ما تتضمنه المحاور من إدراج الفلسفة

بوصفها رغبة في المعرفة أو حباً للحكمة داخل بنية الحب كما تظهر في المحاورة. وقد كان سقراط بالنسبة للاكأن هو النموذج الواقعي للحب بوصفه تحويلاً، لما تتضمنه ممارسته للتفلسف دائماً من حوار مع آخر ينطلق من رغبة في المعرفة. ويسعى سقراط من موقعه كأستاذ ومعلم إلى توليد المعرفة مما بداخل التلميذ عن طريق الأسئلة منطلقاً من موقع الجهل أو عدم المعرفة الذي يميز أيضاً المحلل النفسي في علاقته بالمُحلَّل، وهي العلاقة التي تؤسس تلك الممارسة كحب.

وإن كان اهتمام لآكان الأولي بالحب كتحويل وبتحليل محاورة المأدبة، يرجع لاهتمامه بالحب كمحور في التحليل النفسي، فقد قدم لنا من خلال ذلك تصورا فلسفياً جديداً عن الحب بوصفه علاقة بين ذات وموضوع، وليس بين ذاتين، ينطلق فيها المحب من حرمانه الذي يشكل رغبته في المحبوب، هذا الحرمان الذي يحتاج لأن تتم الشهادة عليه بوصفه حرماناً، بدءاً من قبوله ومعرفته وانتهاءً بمبادلتة الحب والذي سيكون، كما يرى لآكان، بتحول المحبوب - موضوع الحب - إلى محب يسعى هو الآخر للكشف عن حرمانه ومبادلتة الشهادة عليه. وهو ما يجعل الحب ينتمي للمجال الرمزي وهو طريقة تعبير اللاوعي عن نفسه كما يرى لآكان، هذا اللاوعي الذي يقع داخله الحرمان. وبذلك يصبح الحب متوجهاً وموجّهاً لما لديك من نقص وليس لما لديك من خصائص إيجابية.

وتكمن أهمية البحث في انتمائه للدراسات البيئية في مجال الفلسفة المعاصرة، وهو مجال وليد في البحث الفلسفي في عالمنا العربي. إذ يتناول البحث تحليلات لآكان لمحاورة المأدبة عند أفلاطون عن طريق المنهج الفلسفي البنيوي المعاصر، ولما قدمه من رؤية عن تماهى الحب في مأدبة أفلاطون مع الحب كتحويل في التحليل النفسي، وفي ربطه بين طريقة التوليد عند سقراط بطريقة عمل المحلل النفسي، وأخيراً في تصوره عن الفلسفة نفسها بوصفها شكلاً من أشكال الحب في انطلاقها من رغبة الوصول للمعرفة، كما سنوضح تفصيلاً في بحثنا. وسنناقش من خلال البحث طريقة لآكان في تحليل نص أفلاطون في إطار المناهج

المعاصرة، البنيوية وما بعد البنيوية، وفي إطار نقد بعض الفلاسفة المعاصرين
لنسبية الحقيقة كما ظهرت في الاتجاه ما بعد الحداثي.

تتبلور إشكالية البحث في التساؤل حول مدى مشروعية القراءة الجديدة التي
قدمها لاكان لموضوع الحب عند أفلاطون، وإلى أي مدى نجح في تطوير
تصورات كانت موجودة بالفعل عند أفلاطون، أم أنه قام بليّ تصورات أفلاطون
لصالح تصورات الفلسفة المعاصرة.

وسيهتم بحثنا بتحقيق الأهداف الآتية:

- الوصول لتصور واضح حول الطريقة التي قام بها لاكان بتحليل المحاورة.
- توضيح التشابه والاختلاف بين تصور لاكان عن الحرمان وتصور أفلاطون
له.
- توضيح بنية تصور لاكان عن الحب بوصفه "تحويل" من خلال تحليلاته
للمحاورة.
- التوصل لجوانب التشابه والاختلاف بين بنية الحب في التحليل النفسي وفي
طريقة التوليد عند سقراط.
- توضيح ما تتضمنه تحليلات أفلاطون حول الحب من فهم استباقي عميق
للنفس البشرية.
- الكشف عن طريقة تناول أفلاطون لبنية موضوع الحب في المأدبة بشكل
متناثر ومتدرج في الخطابات المختلفة للمتحدثين.
- الكشف عن دلالة استخدام أفلاطون لامرأة حكيمة "ديوتيميا" لتكون معلمة
سقراط لكل ما يعرفه عن الحب.
- توضيح معنى وحدود تصور أفلاطون عن انطلاق الحب من الرغبة.
- الكشف عن محورية موقع سقراط في المحاورة عند كل من أفلاطون ولاكان.
وسنعمد في محاولتنا الإجابة عن الإشكالية المحورية للبحث، ومحاولة
الوصول لأهدافه، على المنهج التحليلي النقدي المقارن، حيث سنقوم بتحليل نقدي
لما قام به لاكان من تحليلات بنيوية لموضوع الحب في المحاورة، وسنقوم

بالمقارنة بين تصورات لاكان وأفلاطون حول هذا الموضوع. كما سنعمد في جزء من البحث على المنهج التركيبي، فنعيد تركيب نظرية لاكان عن الحب كتحويل في علاقتها بالتحليل النفسي وبالفلسفة، وبتصوره عن سقراط بوصفه نموذجاً للمحلل النفسي وللحب.

وسنقوم بهذا من خلال الخطوات الآتية:

أولاً: تقديم تمهيدي للمصطلحات الأساسية التي صاغها واستخدمها لاكان في مجال التحليل النفسي.

ثانياً: تحليل لمقاربة لاكان البنيوية للخطابات المختلفة في المحاورة.

ثالثاً: تحديد عناصر نظرية لاكان عن الحب كتحويل وعلاقتها بتحليلاته للمحاورة.

رابعاً: الربط بين تصور الحب كتحويل كما يظهر في التحليل النفسي وبين فلسفة سقراط بوصفها حباً.

خاتمة: تتضمن النتائج التي توصلنا لها من البحث.

العنصر الأول: الخطوط العامة لنظرية التحليل النفسي عند لاكان وموقع مفهوم الحب داخلها

تتأول لاكان موضوع الحب في أغلب كتاباته وفي مجالات اهتماماته المتعددة فتتأوله كحب رومانسي وتتأوله في علاقتيه بتشكيل الذات وفي علاقة الذات بالآخر، وفي كتاباته النسوية والسياسية والثقافية، وسنهتم في هذا البحث بتأوله للحب بوصفه تحويل⁽¹⁾ transference من خلال تحليله لمحاوره الأدبية⁽²⁾،

⁽¹⁾ هناك العديد من الترجمات العربية لمصطلحات التحويل ومنها الطرح والإزاحة لكننا اخترنا ترجمته بالتحويل لتعبيره الحرفي والدلالي للمصطلح الفرنسي عند لاكان وهو ما ترجمه به مصطفى حجازي. انظر:

مصطفى صفوان، الكلام أو الموت: اللغة بما هي نظام اجتماعي دراسة تحليلية نفسية، ترجمة مصطفى حجازي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.

⁽²⁾ قام لاكان بتأول تصور التحويل في العديد من كتاباته وكان أهمها السيمينار الثامن الخاص بتحليل محاوره الأدبية لأفلاطون والذي يحمل عنوانه نفس الاسم "التحويل".

والتحويل هو مصطلح محوري في نظريته عن التحليل النفسي، يحلل من خلاله علاقة المحلل النفسي بالمُحلَّل وتأثيره على طريقة العلاج في الجلسات النفسية. يظهر الحب كما يطرح لاكان بدءاً من علاقة الرضيع بالأم وهي لحظة أساسية لا تقتصر على العلاقة الفعلية للرضيع بأمه ولكنها تمتد بصورة رمزية في حياة الإنسان بعدها، وفي لحظة أخرى من تشكل الذات هي لحظة المرأة^(٣) التي تتشكل فيها الأنا Ego حين تكتشف نفسها في المرأة كآخر ويتولد عنها الحب النرجسي الذي يظهر في شكل الحب الرومانسي كما يرى لاكان. ونرى من هنا الموقع المميز الذي تحتله تلك العلاقة من حيث أن هاتين اللحظتين هما الأساس لتشكيل الأنا في علاقاتها بنفسها وبالأخر.

قام لاكان بصياغة نظريته في التحليل النفسي من خلال مجموعتين من التصورات الثلاثية المتداخلة والمتمايزة: أولهما ثلاثة مستويات للوجود الإنساني، هي: الواقعي Real والتخيلي Imaginary والرمزي Symbolic وثلاثية أشكال تعمل داخل علاقة الأنا بالأخر، هي: الاحتياج need والطلب Demand والرغبة Desire.

وسنقدم شرحاً سريعاً لتلك المصطلحات الأساسية عند لاكان والتي ستعتمد عليها تحليلاته لعلاقة الحب كما تظهر في المأدبة. ونبدأ بالثلاثي الاحتياج-الطلب-الرغبة^(٤).

أولاً: الاحتياج Need: يتحرك الرضيع تجاه الأم أولاً نتيجة احتياجاته المختلفة، وعلى رأسها الطعام، فيقوم بالصراخ لكي يتم تلبية احتياجه. وعليه فالاحتياج need يرتبط بالبيولوجيا وقابل للإشباع مع تلبية من قبل الآخر.

^(٣) قدم لاكان بحثه الأول عام ١٩٣٦ عن "مرحلة المرأة" وذلك في جمعية التحليل النفسي الدولية.

^(٤) يتم تناول تلك الثلاثية في إطار رباعية، إذ يضاف إليها الدافع Drive في كثير من الكتابات، لكننا رأينا عدم احتياجنا لتناول الدافع، في بحثنا الذي يتناول الرغبة الخاصة بالحب، وعلاقتها بالطلب والاحتياج.

والصراخ نفسه هو طلب يقدمه للخارج، للآخر، وهو علامة Sign وبالتالي فهو أول ممارسة للغة وأول دخول في المستوى الرمزي من الوجود الإنساني. ورغم ان الاحتياج قابل للإشباع إلا أن هناك لحظات بالطبع لا يتم تلبيةه وبالتالي لا يتم إشباعه وهو ما يسبب كبتاً أولياً، يعطينا علامة على ميلاد اللاوعي⁽⁵⁾.

ونلاحظ هنا أمراً نراه مهماً في فهم طبيعة الإنسان وهو أن هشاشة الإنسان، التي تنتج من احتياجه الدائم لآخر في تلبية احتياجاته الأولية، هي السبب في تطوره من الحالة المحض بيولوجية/ حيوانية وانتقاله للحالة الإنسانية بتعقيدها وتميزها، وتحديدًا فهي تولد أصالة وضرورة العلاقة مع الآخر، وهو الأمر الذي ينشأ عنه استخدامه للغة وبالتالي تقديمه لنفسه عن طريق الرموز، ودخوله في علاقات اجتماعية/ ثقافية.

ثانياً: الطلب Demand⁽⁶⁾. هو صياغة للاحتياج في شكل رمزي (صوت-

كلمة) ويكون موجهاً لآخر. وأول طلب للإنسان موجه لآخر هو صرخة الرضيع التي هي ليست محض إشارة Signal غريزية، بل يؤكد لا كان كونها علامة Sign توضع داخل نظام رمزي، وعليه فإن صرخة الطفل تنتظم داخل بنية لغوية من قبل أن يكون الطفل قادراً على تعلم الكلمات.

وهناك جانبان لطلب الرضيع المتمثل في صرخته، فهو طلب بيولوجي يتم إشباعه في حالة تلبيةه، لكنه يترافق مع طلب آخر للحب، حيث تقدم الأم مع تلبية الاحتياج البيولوجي أشكالاً من الود، التي تصبح طلباً للحب من طرف

(5) Chiesa, Lorenzo, Subjectivity and Otherness: a philosophical reading of Lacan, The MIT Press, Cambridge, 2007, p. 55.

(6) إن الترجمة العربية "طلب" تقترب من الكلمة الأصلية الفرنسية demande حيث أن كليهما يبتعد عن اللغة الأمرية في كلمة Demand بالإنجليزية. والأقرب لمعنى الكلمة الأصلية هو التعبير الانجليزي ask for لكن كافة الترجمات للإنجليزية قد اعتمدت كلمة Demand للحفاظ على تطابق اللفظين.

See; Evans, Dylan, An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis, Routledge, Taylor & Francis e-Library, 2011. (Demand).

الرضيع غير قابل للإشباع^(٧). فطلب الحب هنا هو طلب للبقاء متوحداً مع هذا الآخر، يستمر فيه هذا الحب دون انقطاع، وهو ما يقابله غياب الأم من حين لآخر واكتشاف الرضيع أنه خرج من وحدته الأولى المكتفية بنفسها (كجنين في رحم الأم) للعالم الواقعي الذي يتم تلبية احتياجاته فيه من خلال آخر متميز. وتتكون لحظة الإقصاء castration التي يختبر فيها الطفل الحرمان Lack.

ثالثاً: الرغبة Desire وهو مصطلح محوري في التحليل النفسي لدى لاكان، والرغبة موجهة دوماً لآخر وغير قابلة للإشباع، فهي تنتج عن حرمان أصيل مختبئ في اللاوعي لم تتمكن الذات من التعبير عنه أو صياغته في لغة رمزية أو صور تخيلية.. فالاحتياج البيولوجي يتم إشباعه عند طلبه عكس طلب الحب غير القابل للإشباع والذي يؤدي إلى الحرمان. ومن المتبقي من هذا الطرح، أي ما لم يتم إشباعه، تنشأ الرغبة Desire. وعليه فمن البداية نستطيع أن نحدد أن الرغبة تحرك الإنسان تجاه الآخر ليتم الشهادة عليه أو تحديداً على حرمانه من ناحية، وتقديم الحب له من ناحية أخرى.

وتشكل الرغبة، التي هي نفسها هذا الحرمان الذي تتشكل نتيجته، كينونة^(٨) being الإنسان نفسه. وهي ترتبط بالألم والمعاناة، من حيث أنها تمثل كينونة الإنسان التي تفلت دوماً من إمكان تحققها. ويفسر هذا التحليل أهمية الحب للإنسان من ناحية كونه أملاً في التمام الفجوة الكائنة في عمق كينونتنا، ويفسر في نفس الوقت تضمن الحب دوماً للألم والإحباط. حيث تتوجه الرغبة إلى آخر كمطلب حب موجه لموضوع ما لدى الآخر تتوهم فيه أنه قادر على ملئ هذا الفراغ المتمثل في حرمانها الوجودي الأصيل وفي الاقتراب من موضوع الرغبة هذا والذي يطلق عليه لاكان "موضوع الآخر الصغير"^(٩) objet petit a تواجه بعدم

(7) Chiesa, Lorezo, Subjectivity and Otherness, op. cit., p. 69.

(8) نترجم لفظ being بكلمة كينونة وليس وجود، لتمييزه عن لفظ existence الذي نترجمه وجود، والكينونة عند لاكان توجد في النظام الرمزي أما الوجود فهو يوجد في النظام الواقعي.

(9) يكتب لاكان هذا المصطلح في صورة رمزية a التي ترمز لكلمة autre آخر وهو يميزها عن الآخر الكبير الذي يكتبه بحرف -A وفي الترجمات الإنجليزية يتم الإبقاء أحياناً على حرف ال

تحقيقه لهذا الأمل فتصيغه في موضوع جديد لا يحقق الإشباع مرة أخرى وهكذا^(١٠).

ننتقل للثلاثة مصطلحات الأخرى التي تؤسس لنظرية التحليل النفسي عند لاكان، أو ما يطلق عليه البعض نظريته في المعرفة^(١١). وهي الواقعي والتخيلي والرمزي. وسنقوم بتناول تلك المصطلحات من خلال شرحها وتوضيح علاقاتها بثلاثة اتجاهات، أو مدارس فلسفية، تأثر بها لاكان ورأى أنها تعبر عن تلك الأنظمة^(١٢) order الثلاثة التي تعمل خلالها كافة الظواهر النفسية التي تشكل الشخصية personality. والأنظمة الثلاثة تلك ليست أنظمة للوعي فهي ليست في وضع أدنى وأعلى في علاقاتها ببعضها البعض، وهي لا تعمل منفصلة أيضا بل تتداخل لتخلق مناطق تلاقى.

الواقعي Real هو المصطلح الأكثر صعوبة عند لاكان^(١٣)، ومن الممكن أن نقابله بالشيء في ذاته عند كانط من حيث كونه غير قابل للمعرفة، وبالوجود

a وأحيانا أخرى بحرف ال o نسبة لكلمة الآخر بالإنجليزية other كما يتم الإشارة للمصطلحين أيضا بالآخر الكبير والآخر الصغير الذي يقترن دائما بكلمة موضوع فتقال "موضوع الآخر الصغير". وسنقوم بتناول هذا المصطلح بالشرح والتحليل في مكان لاحق من البحث.

(10) See Chiesa, Lorezo, Subjectivity and Otherness, op. cit., p. 72.

(11) See Ragland-Sullivan, Ellie, Jacques Lacan and the Philosophy of Psychoanalysis, University of Illinois Press, Urbana & Chicago, 1987, p. 130.

(12) قام مصطفى حجازي بترجمة هذا المصطلح بكلمة "سجلات" ومن الملائم في تصورنا ترجمتها أيضا ترتيبات ولكننا فضلنا تعبير أنظمة لشيوع استخدامه في المجال البنيوي/الرمزي الذي هو مركز تلك الأنظمة الثلاث عند لاكان.

(13) استفاد العديد من الفلاسفة المعاصرين من تصور لاكان عن الواقعي وقاموا بربطه بتصوراتهم الفلسفية في مجال تناول الذات والوعي بل وأيضا السياسة. انظر تناول جتاري للواقعي عند لاكان وتحليله سيميوطيقيا ونقده له في نفس الوقت في إطار رفضه لفهم الوعي على أسس بنيوية في كتاب

Watson, Janell, Guattari's diagrammatic thought: writing between Lacan and Deleuze, Continuum International publishing group, 2009, pp. 48–49.

لذاته عند سارتر من حيث تميزه بأنه ملاءً محض. ويطلق عليه البعض الشريط المادي الذي يوجد فيما وراء التخيلي والرمزي لكونهما يقومان بعملهما عن طريقه، ومن حيث دلالاته المادية. ولكنه هو نفسه غير قابل للتعبير عنه أو غير قابل للتقديم ولا يظهر إلا مع اختراقه، عمل قطع داخله، من قبل الرمزي. ويتعارض الواقعي مع الرمزي في كون الأول ليس به أي غياب، فهو حضور محض، في حين أن الثاني يعمل عن طريق التعارضات بين الحضور والغياب. ويعبر لاكان عن الواقعي بأنه المستحيل، فمن المستحيل تخيله في صور أو إدخاله في نظام رمزي، ومستحيل الوصول إليه بأي طريقة. واستحالة التعبير أو التقديم تلك هي التي تربطه بالصدمات traumas التي لم يتم التعبير عنها والتي تبقى مؤثرة سلبيًا على الإنسان لهذا السبب تحديدًا⁽¹⁴⁾.

ويجب هنا أن نفرق بين الواقعي من ناحية والواقع الخارجي من ناحية أخرى، فالواقعي داخل الإنسان نفسه وربما نستطيع أن نقول إن النموذج الأقرب له هو الوضع الخاص بالجنين داخل الرحم. فهو مستقل ذاتيًا ومكتفى تمامًا ولا يوجد به أي نقص يحركه للقيام بأي شيء تجاه الخارج كما إنه غير متميز هو نفسه بل متداخل وممتد في اختلافاته غير المصنفة بأي درجة. وقد لاحظ العديد من الباحثين صعوبة فهم هذا المصطلح أو على نحو أدق الإمساك به وهو ما يتوافق مع وجوده غير القابل للتقديم. ومن ناحية أخرى سيكون علينا التمييز بين الواقعي وبين اللاوعي، حيث أن اللاوعي عند لاكان له بنية رمزية.

وأخيرًا فمن الممكن أن نقول إن الواقعي هو المعطى الخام للوجود الإنساني في حين أن التخيلي والرمزي اللذان يشكلان الإنسان في وجوده في الواقع الخارجي هما من خلق الإنسان⁽¹⁵⁾، الذي يتشكل ويتطور من خلال أفعال

(14) Evans, Dylan, An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis, op. Cit., (Real)

(15) مع ملاحظة أمرين أن الخلق هنا لا يعنى الخلق من العدم، وأنه لا يتضمن بالضرورة أي قصدية.

وكلمات وصور يقيمها خلال علاقته التخيلية والرمزية بالآخر. ونريد أن نؤكد أن المثل الذي أوردناه للربط بين الواقعي والجنين هو لتوضيح هذا النظام ربما في وجوده المحض، لكنه يستمر في الوجود وفي العمل في كافة مراحل ولحظات الوجود الإنساني في تفاعل مع الرمزي والتخيلي^(١٦).

أما النظام التخيلي فنستطيع أن نوضحه في لحظة نشوئه الأولى فيما يطلق عليه مرحلة المرأة، حين يرى الطفل نفسه لأول مرة في المرأة فيرى نفسه كآخر ويشكل تصوره عن نفسه كأنها Ego. فالصورة التي يراها الطفل في المرأة لنفسه هي آخر لأنها تختلف عما يختبره عن نفسه في ممارساته ووجوده المتعدد المتناثر والممتد، إن هذا الآخر الذي يدرك أنه هو نفسه ليس شبيها بهذا الوجود الذي ينتمي للواقعي لما يتضمنه من ثبات نسبي وتحدد، إنه لحظة فقط ومجرد وجه فقط من أوجه وجوده لا تدل على وجوده المتعدد والمتحرك والمتناقض لكنها صورة شمولية تختزل هذا الوجود في كل Whole متماسك. وتتشكل الأنا Ego عن تلك الصورة Image المثالية التخيلية عن الهو^(١٧) Id والتي يخلقها الإنسان عن نفسه^(١٨). ونلاحظ أن لحظة المرأة تلك تستمر في حياة الإنسان في مراحل تطوره المختلفة حين يرى نفسه أيضا من زاوية معينة أو شكل معين سواء جسديا أو كخصائص سلوكية أو روحية، من خلال رؤية نفسه في الآخر الذي سيتعامل معه.

ولأن الصورة التخيلية التي يخلقها الإنسان عن نفسه والتي تتشكل من خلالها "الأنا" هي صورة مثالية فهي تسبب العديد من المشكلات النفسية من إحباط وقلق.

^(١٦) وهذا لا ينفي وجود الإنسان داخل بنية رمزية ثقافية واجتماعية متداخلة لها دورها الأساسي في هذا التشكل.

^(١٧) "الهو" يمثل الهوية الشخصية المتوافقة مع نظام اللاوعي عند فرويد وقد أضاف لكان لهذا التصور كون القوى غير المعروفة وغير القابلة للتحكم بها ليست لا تخص احتياجات بيولوجية أولية أو قوى غريزية طبيعية لكننا يجب أن نفهمها بتعبيرات لغوية.

^(١٨) Fink, Bruce, Lacan on Love: An Exploration of Lacans Seminar VIII, Transference, Polity Press, Cambridge, 2016, P. 83.

والحب الناتج عن النظام التخيلي هو الحب الرومانسي، ويطلق عليه لاكان أحيانا الحب العاطفي، وفيه يقوم المحب بإسقاط صورة الأنا المثالية على الآخر وتقييمه بصورة مفرطة في التقدير^(١٩). وعليه يكون هذا الحب هو حب نرجسي يحب فيه الإنسان نفسه، في حقيقة الأمر، ويتواجه فيه بصدمات كبيرة من حيث كمالته perfection غير الواقعية، حيث يسقطها على الآخر في انجذابه له من ناحية ويحتاج لأن يراه الآخر عليها من ناحية أخرى، في حين أنها غير واقعية لأنها كلية ومثالية أو كمالية Perfect. ويجب أن نؤكد على أن النظام التخيلي يظهر في صور images لا في تصورات أو رموز، وهي صور وهمية illusory بمعنى أنها لا تعبر عن الواقع كما هو، وهذا لا يقلل من وجودها وأهميتها من حيث تأثيرها الهام في تشكيل الشخصية^(٢٠).

ونصل أخيرا للنظام الرمزي، حيث أكد لاكان على أن اللاوعي مبنى مثل اللغة، أي أنه يعمل من خلال بنية لغوية، بمعنى أنه يعمل من خلال الرموز، ويتشكل خطابه على أساسها. وقد كانت تلك الفكرة، هي الإضافة الحقيقية للاكان في مجال التحليل النفسي وفهم الشخصية^(٢١). ويقدم لاكان من خلال تلك الفكرة تحليل لكيفية صياغة الاحتياجات أو المطالب أو الرغبات في دوال Signifiers لها دلالات معينة. وهو ما ينقلنا لعالم اللغة وبنيتها التي تتكون من دال signifier ومدلول signified ودلالة significance، فكل إنسان كما يؤكد لاكان يولد في

(19) Rajchman, John; Truth and Eros: Foucault, Lacan, and the question of Ethics, Michel Foucault, Jacques Lacan, Émile Marie, Routledge, London & N.Y., 2010, P. 72.

(20) انظر تحليل بروس فينك لتصوير لاكان عن عمل النظام التخيلي في مملكة الحيوان والحب المتولد لديهم في:

Fink, Bruce, Lacan on love, op. cit., p. from 78 to 82.

(21) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, State University of New York Press, 2008, P. xi.

See also: Watson, Janell, Guattari's diagrammatic thought: writing between Lacan and Deleuze, op. cit., P. 1.

شبكة لغوية محددة مسبقا تشكل هويته^(٢٢)، في تفاعل مع الشروط المختلفة التي يتعرض لها ويتفاعل معها. وعليه فالمستوى الرمزي يعمل بالضرورة من خلال دوال واضحة ومحددة ومتفق عليها من قبل المجتمع بحيث يمكن التواصل والفهم المتبادل بين الأنا والآخر.

وعليه فإن المستوى الرمزي يتشكل في علاقة الذات بالآخر ويرتبط بالتالي بالاجتماعي والثقافي. ويتميز المستوى الرمزي بالعمل في علاقة بما يطلق عليه لاكان الآخر الكبير Big Other وهو يعبر عن القانون الذي ينظم علاقة الذات بالآخرين. والقانون يرتبط بالمنع من ناحية وبالسيادة من ناحية أخرى. فالقانون يمنع بعض السلوكيات أو الأفعال وهذا المنع يأتي من الآخر الكبير وهو مكان رمزي للأب، ويمكن أن يكون الله أو أي مبدأ كبير يضعه المجتمع أو فئة ما من المجتمع تنتمي لها الذات. وقد أثر هذا التصور الجديد للاوعي ليس على علماء التحليل النفسي فقط، بل في مجال الفلسفة كذلك، وتم الجدل حوله والاستفادة منه من قبل عدد من الفلاسفة المعاصرين^(٢٣) من أمثال آلان باديو وجيل دلوز وزيارك وغيرهم.

وفي تناول صفوان لدور الكلام عند لاكان في كتابه "الكلام والموت" يؤكد على أهمية النظام الرمزي والطابع المؤسس للكلام وقوته الدافعة في فاعلية العلاج. كما يوضح أن تأكيد لاكان على "أن بنية اللاوعي لغوية يجعل الكلام وقانونه هو الحكم بين الذات والآخر، وهو ما يجعل العلاقات الإنسانية ممكنة ويمنعها من التدهور إلى الاقتتال"^(٢٤). وسنؤكد على أهمية الكلام أو الحديث في علاقته بالرغبة والحب وذلك في تناولنا "للتحويل"، في العنصر الأخير من هذا البحث.

(22) Ragland-Sullivan, Ellie, Jacques Lacan and the Philosophy of Psychoanalysis, op. cit., p. 162.

(23) Watson, Janell, Guattari's diagrammatic thought: writing between Lacan and Deleuze, op. cit., P. 1.

(٢٤) مصطفى صفوان، الكلام أو الموت، مرجع سبق ذكره، ص ٨٧.

تعمل تلك المستويات الثلاث طوال الوقت في علاقة ببعضها البعض، ويتشكل الواقع الخارجي من المستوى التخيلي مع المستوى الرمزي، أما المستوى الواقعي فيوجد فيما وراء هذين المستويين بوصفه وجوداً أولياً لخبرة الذات التي لم يتم ترميزها أو وضع صور خيالية عنها، ومع ذلك فهي حاضرة في كافة المراحل ومؤثرة بدون أن تكون قابلة للتصوير أو الترميز. وإن كان لاكان يميل إلى إبراز الدور المحوري للرمزي في علاقة الأنظمة الثلاثة ببعضها البعض، فإن ذلك لا يعبر عن تصور لأفضلية الرمزي بل لكونه يسمح بتأسيس بنية، يكون لها دور مهم في عمل التحليل النفسي⁽²⁵⁾. ومن ناحية أخرى فلا يجب أن نبحث عن أنظمة لاكان الثلاث خلال التمييز بين الوعي بوصفه مضاداً للاوعي ولا الخيال بوصفه مضاداً للواقعي، وهنا يكمن تعقيد لاكان⁽²⁶⁾. حيث تتفاعل وتتداخل الأنظمة الثلاث لتغير طريقة فهمنا للشخصية وأشكال إدراكها عن طريق التضاد وتنقلنا إلى فهمها كعلاقات متحركة تتفاعل داخل شبكة بنيوية، يعاد تشكيلها بصورة مستمرة. أضف إلى ذلك أن حركية البنية الدلالية وتصوراتها وتصورات لاكان عن تشكل الخطابات على أساسها يجعله يقترب من تصورات الاتجاه ما بعد البنيوي. ويرى فلان أن هذا الاقتراب لا يجعل لاكان يتماهى مع هذا الاتجاه من حيث تأكيده على وجود ذات ما تتحدد كينونتها الملتبسة بتخليقها في اللغة⁽²⁷⁾. ونختلف مع هذا الطرح في تفسيره لعدم القول بوحدة الذات عند لاكان يتم تخليقها، فالعديد من فلاسفة الاتجاه ما بعد البنيوي وعلى رأسهم فوكو، الذي قال بموت الإنسان، لم يستبعد الذات الواحدة تماماً في رأينا بل استبعد فقط فكرة

(25) Bailly, Lionel & Lichtenstein, David eds, *The Lacan Tradition: Lines of Development Evolution of Theory and Practice over the Decades*, Routledge, 2018, P. 14.

(26) Ragland-Sullivan, Ellie, *Jacques Lacan and the Philosophy of Psychoanalysis*, op. cit., P. 195.

(27) Malone, Kareen Ror, & Friedlander, Stephen R. editors, *The subject of Lacan*, State University of New York Press, 2000, P. 12.

الذات كأصل للخطاب وأكدها كنتيجة للبنية التي تؤسس شبكة العلاقات بين السلطة والمعرفة.

ونستطيع أن نوضح الأنظمة الثلاثة في علاقتها بالفلسفة، حيث قام لاكان بالربط بينها وبين اتجاهات ثلاث أساسية في الفلسفة، هي الوجودية والظاهريانية والبنويية. فتشير الوجودية للوجود الحسي للذات المنعزلة التي توجد في العالم دون أي علاقة بأي آخر ودون لغة وقدرة على التواصل. وفي هذا المستوى من الخبرة تكون الذات تحت سيطرة العالم اللارمزي للإحساسات والإدراكات الحسية الخاصة بالنظام الواقعي. فكما يقول سارتر عن الوجود لذاته أنه في الواقعي لا يوجد حرمان أو سلب فهو بالضبط ما هو عليه وليس أكثر. أما النظام التخيلي فهو الخاص بالوعي الفينومينولوجي الذي يصبح فيه الوجود الخالص للإحساس مقموراً من قبل وحدة الذات والقصدية الخاصة بالفرد. وهذا المستوى الذي يبدأ عند لاكان مع ديكارت مؤسس على وهم ضروري يخص صورة شمولية تمثل تنظيم المجال الإدراكي لأننا بحيث تتحول إلى مجال موحد ومحدود يخص الوعي. أما البعد الثالث للخبرة فهو المستوى البنوي للغة الذي يعمل داخل العلاقات الاجتماعية. وهنا ليس ثمة وجود في ذاته (الواقعي) ولا وجود لذاته (التخيلي) بل وجود للآخرين، يتم فيه التضحية بالاحتياجات الحسية والمطالب الأنوية من أجل القوانين والقيم الخاصة بالبنية التاريخية الاجتماعية الخاصة بها⁽²⁸⁾. ونلاحظ هنا أثر الجدل الهيجلي في ربط لاكان بين الأنظمة الثلاث الخاصة بالتحليل النفسي.

ويقسم لاكان الأشكال المختلفة للحب في علاقتها بأنظمة التحليل النفسي الثلاث، وإن كان بحثنا سينصب على علاقة الحب التي يحللها من خلال محاوره الأدبية في علاقتها بمسألة التحويل Transference، فنقوم هنا بالإشارة السريعة للأشكال العديدة للحب في علاقتها بالأنظمة الثلاثة لوجود الذات الإنسانية.

(28) Samuels, Robert, *Between Philosophy and Psychoanalysis: Lacan's Reconstruction of Freud*, Routledge, N.Y. & London, 1993, p. 2.

يظهر النظام التخيلي في علاقة الحب الرومانسية، ويطلق عليه أيضا الحب العاطفي، حين تبحث الذات عن نفسها في الآخر، فهي تتجذب لما هو شبيه لها، أي للصورة التخيلية التي وضعتها لنفسها في لحظة المرآة. وفي هذا النوع من الحب لا تتمكن الذات من استقبال الآخر كآخر مختلف، بل هي تسقط عليه صورتها التخيلية عن الأنا المثالية. وبالتالي يؤكد لاكان على أن الحب هنا هو حب الذات لنفسها وليس للآخر، فهي تبحث من خلال معيار ما مؤسس مسبقا عن آخر يتم التعبير عنه بوصفه توأم الروح، وهو شخص نقتنع بأنه شبيه لنا وفق للصورة التخيلية التي لدينا عن أنفسنا⁽²⁹⁾. وتتوهم الذات أن هذا الشخص انعكاس لها ويشبهها بصورة كاملة Perfect. وتكون الذات هنا بوصفها أنا ego لا شيء سوى ما يترتب على تحديدها لتلك الهوية المغتربة بوصفها آخر تخيلي. فالذات هنا تدعى أنها في مكان الآخر بوصفه مكاناً يخص كمالها هي، وهو أمر غير قابل للتحقق، وعليه فإن تلك العلاقة التي تتضمن مشاعراً متناقضة وعدائية وتكون مدمرة للنفس⁽³⁰⁾.

أما الحب الذي يطلق عليه "الحب من أول نظرة" والذي يكون الشخص مأسورا بالآخر المحبوب رغم كونه لا يعرف عنه شيئا أو يعرف عنه القليل جدا، فهو يشير للنظام الواقعي. إن الذات هنا غير قادرة على معرفة لماذا تتجذب إلى هذا الآخر، فشعور الحب أو التعلق ينشأ هنا من المنطقة الخام المختبئة والغير قابلة للتقديم⁽³¹⁾. أما الحب المرتبط بالنظام الرمزي فهو يتعلق باللغة والبنية، بالرغبة والحرمان وتتشكل فيه العلاقة بين الأنا والآخر كآخر مختلف، وهو ما سنركز عليه في بحثنا هنا لأن هذا المستوى هو ما تناوله لاكان في تحليله لمحاورة الأدبية موضع بحثنا.

(29) Chiesa, Lorenzo, Subjectivity and Otherness: a philosophical reading of Lacan, The MIT Press, Cambridge, 2007, P. 20.

(30) Loc. Cit.

(31) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., P. 61.

ويجدر بنا الإشارة الى أن تصور الحب عند لاكان قد لاقى الكثير من التطور والتغير في مراحل فكره المختلفة وهو ما ينطبق على كافة التصورات التي صاغها لاكان واستخدمها في نظريته عن التحليل النفسي. ففي مرحلته المبكرة قدم الحب بوصفه تخيلياً، أما في المرحلة المتوسطة من أعماله، في الفترة من (١٩٥٠ إلى ١٩٦٠) قدمه على المستوى الرمزي، وفي أعماله المتأخرة من السبعينيات اهتم بتعريفه بوصفه واقعياً^(٣٢). ويؤكد لاكان على أن التحليل النفسي قدم تغييرات مهمة حول تصور الحب وضعته في مركز الخبرة الأخلاقية للإنسان، وقد اختلفت الرؤية التي قدمها التحليل النفسي لمفهوم الحب عما كان يقدم عن الحب من قبل فلاسفة الأخلاق السابقين والفلاسفة في مجال العلاقات الإنسانية^(٣٣).

وسنقوم في هذا البحث بتحليل موضوع الحب كما تناوله لاكان في المرحلة المتوسطة من إنتاجه الفكري وهي المرحلة التي كتب فيها تحليله لمحاورة المأدبة عند أفلاطون، وهي أهم معالجة للحب من المنظور الرمزي قام بها لاكان.

العنصر الثاني: تحليل لمقاربة لاكان البنيوية للخطابات المختلفة في

المحاورة.

نتوقف بالتحليل هنا عند محاورة المأدبة نفسها، لنقوم بعرض تحليلي للخطابات الأساسية في المحاورة، نهتم فيه بإبراز طريقة عرض أفلاطون لأفكاره عن الحب متناثرة في الخطابات المختلفة للشخصيات المتحدثة، وسنتبع في ذلك تعليقات لاكان متداخلة مع تعليقات أفلاطون على لسان سقراط أحياناً وتعليقات الباحثة أحياناً أخرى. تختلف المأدبة عن أي محاورة أخرى في بعض الأمور الأساسية والدالة، أولاًها أنها تقدم من خلال خطابات منفصلة ومنتالية للشخصيات المشاركة ولا من خلال حوار مبني على الدحض كما عودنا أفلاطون، وثانيها طابعها الكوميدي الساخر الذي أشار إليه كافة الباحثين، وثالثها طرحها بوصفها

(32) Loc. Cit.

(33) De Kesel, Marc, Eros and Ethics: Reading Jacques Lacan's Seminar VII, Sigi Jottkandt tr., State University of New York Press, Albany, 2009., op. cit., p. 7.

منقولة على لسان طرف سمعها من طرف آخر ولم يكن حاضرا فيها بل يسردها من خلال التذکر.

كما تتسم المحاوره أيضا، بالتحولات في طريقة تناول موضوعها وهو الحب، فتبدأ بتمهيد من الراوي ثم تحديد لموضوع المأدبة بوصفه "مدح للحب" في خطابات متتالية للشخصيات كل في دوره، ويتحول الموضوع مع سقراط من مدح الحب إلى السعي لمعرفة، وتختتم بخطاب ألقبياديس^(٣٤) Alcibiades الإيروتى الذى ينقلنا إلى مستوى الخطاب الشخصى عن الحب والذى يتضمن أيضا طرح لتغيير الطريقة من الحديث النظرى المجرى إلى حديث شخصى يوجهه كل مشارك إلى من يجلس بجواره.

وأول المتحدثين في مدح الحب هو فيدروس^(٣٥) Phaïdros الذى يبدأ بتقرير أن الحب إله عظيم وجدير بالمدح أكثر من غيره لكونه يحمل العديد من الفضائل، ولأن الشعراء قد أغفلوا الحديث عنه رغم أهميته^(٣٦). ونتوقف عند جانبين هنا أولا أن فيدروس يضع هنا ما سيستمر مع كل المتحدثين في المرحلة الأولى من المحاوره التي يتم فيها مدح الحب، وهو تقديس الحب وربطه بالآلهة. والجانب الثانى هو أن أفلاطون يضع تلك الفكرة الخاصة بقدسية الحب، كما يرى لاكان، ليقوم بنقدها مؤخرا على لسان سقراط الذى سيرفضها ويؤكد على عدم قدسية الحب.

وينتقل فيدروس للحديث عن الحب بوصفه علاقة بين طرفين غير متساويين المحب Lover, erastes والمحبوب eromenos , Beloved، وتبرز تلك

^(٣٤) قائد عسكري أثينى. كان تلميذ المفضل في مرحلة ما قبل محاوره المأدبة.

^(٣٥) فيلسوف أثينى. عاصر سقراط وأفلاطون، ومحاوره فيدروس الشهيرة تحمل اسمه، وهى ترتبط في مواضعها بالمأدبة وظهر فيها نظرية الفن وفلسفة الجمال بصورة واضحة وإيجابية.

⁽³⁶⁾ Plato, The Symposium, Edited by M. C. Howatson & Frisbee C.C. Sheffield, tr. M. C. Howatson, Cambridge University Press, 2008, p. 8.

العلاقة غير الندية⁽³⁷⁾ بين المحب الذي ينطلق من رغبة تجاه الآخر المحبوب أو تحديدا موضوع ما لديه ينصب عادة على جماله الجسدى، والمحبوب الذي يستقبل هذا الحب فيزهو بنفسه لأن لديه ما يجعله محبوبا. ويتميز المحب كما يطرح فيدروس بكافة الفضائل الخاصة بالحب من شجاعة واحترام وتضحية، حيث أن الحب نفسه كإله مقدس يعطى من كيانه الممتليء بالفضائل للمحب. فالمحب كما يطرح أفلاطون هنا من خلال فيدروس هو الفاعل في علاقة الحب وهو الذي يظهر لديه الخصائص التي تميز طبيعة الحب (الفضائل الأخلاقية الإيجابية عند فيدروس هنا) وبتعبيرات لاكان فالمحب هو الذات التي تنطلق من رغبتها في الآخر المحبوب بوصفه موضوعا، وبتعبيرات سقراط/ أفلاطون مرة أخرى بوصفه يحمل موضوعا يرغب المحب في الحصول عليه أو امتلاكه.

ويبرز فيدروس فضائل المحب من خلال مثل يورده عن تضحية الزوجة المحبة ألكستيس⁽³⁸⁾ Alcestis بنفسها من أجل زوجها، في الوقت الذي لا يقوم بهذا الفعل أي من أقربائه الآخرين. وقد قامت الالهة بإعادة روحها من تحت الأرض وهو شيء نادر جدا ويدل على أهمية هذا الفعل الشجاع الذي ينبع من مشاعر الحب⁽³⁹⁾. ويهتم أفلاطون من خلال خطاب فيدروس أن يؤكد على أن الكيسايتس كانت هي المحبة في تلك العلاقة.

⁽³⁷⁾ تبرز علاقة الحب بوصفها غير ندية في الثقافة اليونانية وهي موجودة عند أفلاطون/سقراط وأيضا عند لاكان في تناوله للحب بوصفه تحويل في علاقة المحلل النفس بالمحلل وأيضا للحب عامة وتحديدا في الحب كعلاقة رمزية مع آخر.

⁽³⁸⁾ زوجة محبة، كانت أميرة في الأساطير اليونانية ومعروف عنها حبها لزوجها. وعندما اقترب يوم وفاته بعد فشله في إرضاء الألهة، تقدمت لتموت بدلا منه. واعادتها الألهة من الموت وكانت بعدها صامتا.

⁽³⁹⁾ Plato, Sompium, p. 9.

وأخيرا ينقلنا فيدروس إلى تضحية أخرى هي تضحية أخيل^(٤٠) Achilles حين يقرر قتل هكتور^(٤١) Hector انتقاما لباتروكلس^(٤٢) Patroclus الذى يحبه رغم معرفته مسبقا لمصيره بأنه لو لم يقتله سينعم بحياة طويلة هائلة ولو قتله سيموت^(٤٣). وتقوم الآلهة بمكافئته والاحتفاء به بطريقة أكبر بكثير مما قامت به في قصة الزوجة المحبة. وقد اهتم فيدروس بالتدليل على كون أخيل هو المحبوب في تلك العلاقة، ولذلك فإن قراره بالتضحية بنفسه في سبيل الحب كان تحولا من مكان المحبوب لمكان المحب ولهذا لاقى تقييما واستحسانا أكبر بكثير من الآلهة. وهكذا يميز أفلاطون على لسان فيدروس بين المحب، الذي من الطبيعي أن يقوم بأعمال أخلاقية عظيمة مثل التضحية بالنفس، لأن إله الحب يكون داخله ويجعله أقرب للمقدس. وبين المحبوب الذي يفتقر لهذا^(٤٤). أما لاكان فقد اهتم بالتأكيد على اهتمام أفلاطون (في خطاب فيدروس) على التدليل في عدد كبير من الصفحات على أن أخيل كان هو المحبوب في تلك العلاقة، ليؤكد لنا أن أفلاطون يتحدث بالفعل عن التحويل transference وأن تحليله ليس ليا للحقائق في إطار

(٤٠) أحد الأبطال الأسطوريين في الميثولوجيا الإغريقية. كان له دور كبير في حرب طروادة التي دارت أحداثها بين الإغريق وأهل طرواده. وهو البطل المركزي في إلياذة هوميروس.
(٤١) أمير طروادة وقائد جيشها وأهم أبطالها. تصدى لهجمات الإغريق طوال عشر سنوات من حصار طروادة. يعتبر هكتور أول العظماء التسعة في التاريخ اليوناني القديم بسبب شجاعته وأخلاقه النبيلة.

(٤٢) واحد من شخصيات الإلياذة وابن عم أخيل وصديقه المقرب. وقد قتل باتروكلس على يد هيكتور خلال حصار طروادة، وانتقم أخيل لمقتله بقتل هكتور.

(43) Ibid, p. 10.

(٤٤) يقدم فلان تصور معاكس فيرى ان الحب موضوع في المحبوب لأنه هو سبب نشوء شعور الحب في المحب. ونلاحظ أن هذا التفسير يبتعد عن تصور أفلاطون الذى وضحه في الأفضلية الأخلاقية للمحبوب الذى تحول لمحبه لأن الحب بأخلاقياته من شجاعة وتضحية توجد في المحب.

See Benardete, Seth, Socrates and Plato, The Dialectics of Eros, Carl Friedrich von Siemens Stiftung, München, 1999, p. 63.

تصوراته هو. وهذا التحول أو الانعكاس كما يقول لاكان، أي تحول المحبوب في لحظة ما من تطور علاقة الحب إلى محب هو الذي يميز ماهية علاقة الحب الرمزية^(٤٥).

وعليه فخطاب فيدروس يقدم لنا ثلاثة جوانب تهمنا في إطار تحليل لاكان للحب كما يطرحه أفلاطون في المأدبة، أولاً: الاختلاف والتمييز بين وضع المحب وهو الذات التي ترغب في شيء ما أو موضوع ما لدى المحبوب. ثانياً: نقد سقراط لفكرة أن الحب مقدس، لأن الحب لا يمتلئ بالفضائل بل هو ينطلق من افتقار. ثالثاً: فكرة أن الحب كما يقرر لاكان يكمن تحديداً في هذا التحول الذي يحدث في علاقة الحب حين يتحول المحب لمحبوب، والذي يؤكد على وجودها عند أفلاطون.

وسنمر سريعاً على الخطيب الثاني باوسانياس^(٤٦) Pausanias الذي قدم أفلاطون من خلاله فكرة أن الحب ليس واحداً بل أن هناك حباً عادياً وحباً سماوياً، يتجه الأول للأجساد أما الثاني فيتجه للروح. أما خطاب أريكسماخوس Eryximachus الطبيب فقد أكد من خلاله على فكرة أن الانسجام يأتي من الاختلاف في حالة أن تكون النسب بينهما صحيحة. وقد قام لاكان بتحليل الخطابين تفصيلاً ولم نر ضرورة الوقوف عندهما بالتحليل لكونهما لا يمثلان إضافات أساسية في بنية الحب كتحويل.

وقد قام لاكان بالاهتمام بتحليل الحازوقة Hiccup التي عانى منها أريستوفانيس^(٤٧) Aristophanes ووصل إلى أن أفلاطون قد استخدمها للسخرية

(45) Lacan, Jacques, Transference, The Seminar of Jaques Lacan, Book VIII, (1960 – 1961), tr. Cormac Gallagher, Karnac publisher, 2002, pp. 41-42.

(٤٦) قائد إسبرطى ووصى على عرش الأسرة الأجيسية.

(٤٧) كاتب مسرحى كوميدى ويعتبر من رواد المسرح الساخر في اليونان القديمة، يسخر في أعماله من كل أنواع البشر بما فيهم الشخصيات المعروفة وقد قام بالسخرية من سقراط خاصة الذي كان يعده صديقاً له، ومن أشهر مسرحياته السحب.

من خطاب باوسانياس. ويبرز لاكان هنا انتشار الكوميديا في المأدبة وهو ما سنقف عنده مراراً أخرى^(٤٨).

وننتقل إلى خطاب أريستوفانس الكاتب المسرحي الساخر، الذي يبدأ كما حدث مع المتحدثين السابقين بمدح إله الحب، من خلال التأكيد على نفعه وخيريته للإنسان، بحيث تجلب مساعداته لنا أعظم النتائج. ثم ينتقل إلى تقديم قصة أسطورية عن أصل الجنس البشري يوضح من خلالها قوة الحب كما يقول، فقد انحدر الإنسان من أصل يسمى المخنث androgynous وهو كائن دائري الشكل يتكون من أنثى وذكر وله أربع أرجل وأربع أيادي ووجهين لرأس واحدة. وقد كان لهذا النوع من الجنس البشري قوة كبيرة وقاموا بإهانة الآلهة وقد قررت الآلهة فصلهم لاثنتين للتقليل من قوتهم. ومنذ هذا الوقت يبحث كل إنسان أنثى كان أم ذكراً عن نصفه الآخر الذي انفصل عنه والذي سيعود لوحدته الأصلية محققاً اكتماله عن طريق الحب^(٤٩). فالموضوع الأساسي الذي سناقشه في خطاب أريستوفان هو تعبيره عن الحب من خلال وحدة أصلية تحقق الاكتفاء الكامل في الحب. وإن كان أفلاطون يتم تصوير الحب عنده أحياناً في انسجام مع هذا التوق للتوحد مع الآخر في واحد^(٥٠)، إلا أن محاورة المأدبة تتناقض مع هذا التصور. وإن كان أفلاطون في محاورة طيماوس قد تناول أهمية فكرة الدائرة والاكتمال، إلا أن الأمر لا ينطبق على موضوع الحب كما يظهر في المأدبة.

لكن لاكان من ناحية أخرى يربط بين إيراد أفلاطون لتصوير هذا الكائن الدائري المكتفي ذاتياً، وبين تصور الواقعي Real لديه ويرى أن الانفصال الذي تحدث عنه أريستوفانيس يعبر عن الإخصاء الذي يحدث مع انفصال الأم وانتقال الطفل من الحالة الجنينية الممتلئة والمكتفية، أي الواقعي، إلى التخيلي

(48) Ibid, p.55.

(49) Plato, Symposium, po. Cit., pp. 22- 23.

(50) Benardete, Seth, Socrates and Plato: the dialectics of Ethics, op. cit., P. 19.

والرمزي^(٥١). ويؤكد لكان إن رغبة المحبين للوحدة المكتملة الأولى، بعيدة تماما عن الحب بوصفه افتقارًا، الذي يؤكد وجوده عند أفلاطون على لسان سقراط^(٥٢) كما سنرى لاحقًا. ويستكمل فينك بروس^(٥٣) Fink Bruce التعليق على الكائن الأسطوري لأريستوفانيس بقوله إن محاولة الرجوع للحظة ما قبل الاغتراب الناتج عن الانفصال الأول هذا هي محاولة لعكس فقدان الموضوع، وهو أمر مستحيل^(٥٤). وبعيدا عن التحليل النفسي عند لكان يؤكد بنارديت^(٥٥) Benardete أيضا أن تصور أريستوفانيس عن الحب يجعله وعي ذاتي لا يحتاج لشيء ويفصل الحب عن الذهن ويجعله يهدف إلى اكتمال ذاتي يوتوبي^(٥٦). ويستكمل أريستوفان تصوير الأسطورة بقوله: "حين رأى زيوس معاناة البشر في محاولة الوصول لأنصافهم الأخرى، وأنهم حين يجدونها لا يريدون الانفصال عنها أبدا، أشفق عليهم وسألهم ما هذا الذي يريده كل واحد منكم من الآخر؟ فلا يكونون قادرين على الإجابة... وحين يسألهم إن كانت رغبتهم هي أن يبقوا ملتصقين ببعضهم وأن يعيدهم كيانا واحدا، ويظنون كذلك بقية حيواتهم، بل وفي الحياة الأخرى؟ فتكون إجابتهم هي عدم الرفض وإنما يرون أنها فعلا رغبتهم^(٥٧)". ويتوقف لكان عند هذا الجزء في خطاب أريستوفانيس ليبرز من خلاله فكرة عدم قابلية مشاعر الحب للتعبير عنها وتحديدًا بوضوح. فهناك شيء، كما يقول، في الانجذاب للآخر لا يمكن وضعه في كلمات وغير قابل للتعبير عنه إلا بالأغاز. فاحتياج المحب من الآخر، أو الطلب الذي يتوجه به للآخر، بطبيعته غير محدد.

(51) Lacan, Transference, Op. Cit., p. 84.

(52) Ibid, p. 83.

(53) محلل نفسي أمريكي لكانى، ومترجم رئيسي للاكان. وقد ترجم وألف العديد من الكتب عن لكان.

(54) Fink, Bruce, lacan on love, op. cit., p. 83.

(55) فيلسوف وباحث أمريكي معاصر (١٩٣٠ - ٢٠٠١) يعمل في مجال الفلسفة اليونانية.

(56) Benardete, Seth, Socrates and Plato: the Dialectics of Eros, op. cit., p.

62.

(57) Plato, Symposium, op. cit., p. 25.

وهو ما يرجع إلى أن الرغبة التي تحرك المرء تجاه توجيه الطلب للآخر تنشأ من الحرمان الموجود في اللاوعي والذي سنرى مع سقراط بعد قليل انه افتقار لموضوع ما يعتقد في وجوده في المحبوب.

ويتوقف لاكان عند التساؤل لماذا أتى سقراط بأريستوفانيس، الذي يعد عدواً لسقراط حيث تسبب في إدانته وموته. لقد أحضر أفلاطون أريستوفانيس تحديداً لكونه كاتب هزلي وهو يعتبره كما يقول لاكان مجرد مهرج clown. ويناقش لاكان من خلال هذا التساؤل كثافة وجود الكوميديا في الأدبية ويرجعها لموضوع الحب نفسه الذي يرتبط بتناقضات صعب التعبير عنها إلا بالكوميديا كما يرى. ويؤكد لاكان أنه لا يوجد أي نقطة واحدة في خطاب الأدبية، ما عدا خطاب سقراط على لسانه هو، لم تولد لدينا هذا الشك في كونها كوميديية. وخاصة تناول خطابات المدح كلها تقريباً للآلهة وهو أمر ملائم لموضوع الحب كما يطرحه أفلاطون.⁽⁵⁸⁾ وبالعودة لأريستوفانيس فإن لاكان يطرح تناقض ويحاول الإجابة عليه حيث يؤكد مرات عديدة على أن أفلاطون يضع على لسانه التناول الأكثر جدية وملائمة لمسألة الحب، رغم كونه بالنسبة لأفلاطون مجرد مهرج⁽⁵⁹⁾.

وفي الانتقال إلى أجاثون⁽⁶⁰⁾ Agathon وهو آخر المتحدثين قبل سقراط، نصل إلى قمة الحديث الخطابي الذي يكتفي بالمدح الفارغ للحب بأن ننسب له كل ما هو إيجابي فتحدث عن إله الحب الذي يتميز بالسعادة والجمال والخير والشباب الأبدي واللفظ والحنان والرقّة. وعليه فهو يختار الشخصيات الرقيقة الناعمة لكي يستطيع الدخول والخروج منها بسهولة. كما أضفى عليه كافة الفضائل من عدل وتحكم ذاتي وشجاعة والشعرية والإبداع، ومنذ أن ولد إله الحب أصبح كل شيء جميلاً وخير للآلهة وللناس. ويتميز خطاب أجاثون أيضاً

(58) Lacan, Transference, op. cit., pp. 66- 67.

(59) Ibid, pp. 76- 78.

(60) الشاعر الأثيني التراجيدي، والذي قام في منزله الأدبية للاحتفال بنجاح أول عمل مسرحي له.

بالخطابية المسرحية واليقين وعدم وجود أي درجة من التساؤل أو التشكك، بحيث انتهى حديثه بتصفيق حاد من كل الحاضرين متأثرين بخطابيته، وهو ما لم ولن يحدث مع أي من المتحدثين الآخرين⁽⁶¹⁾.

ثم يأتي التحول الأول في المحاوره كما يقول لاكان بحديث سقراط، فيتغير موضوع المحاوره من مدح الحب إلى محاولة معرفة ما هو الحب؟

يبدأ سقراط حديثه بسخرية تقلب مسيرة الحوار تماما فبعد أن قال إنه لم يتبق له شيء يقوله لأن أجاثون قال كل شيئاً، وانتقد نفسه حين تصور أنه خبير في موضوع الحب وتتضح السخرية حين يقول "إنه اتضح إنني لا أعرف شيء عن مدح أي شيء" فلقد كنت أتصور أننا سنهتم بمدح حقيقة الموضوع نفسه، لكن اتضح أن مدحه يكون بأن ننسب له أعظم الفضائل والخصائص بغض النظر عن وجودها... من الواضح أنكم جمعتم كل الحكايات التي نسبها الناس للحب لكي تجعلوه خيراً وجميلاً. لكن هذا من الممكن أن يؤثر فقط فيمن لا يمتلك المعرفة⁽⁶²⁾.

وبعد هذا التمهيد الساخر يقوم سقراط بتحديد الفرق بين الحديث العادي والحديث الذي يسعى للوصول للحقيقة، وهو يميز هنا المعرفة في اختلافها عن ال "دوكسا" Doxa، في أن الثانية تقول حقيقة لم تؤسسها معرفياً كحقيقة والأولى تدلل عليها وتصل الى نظامها المعرفي Episteme⁽⁶³⁾. ويهتم لاكان بهذا الجانب بوصفه تحويلاً لمسار المحاوره تجاه السعي للفهم الذي سيستمر في حديث سقراط على لسان ديوتيميا. يقول لاكان يوضح سقراط هنا "أن علاقتنا البريئة مع ال "دوكسا"، حتى ولو كانت تعبر عن شيء صحيح فهي لا تشبعنا. فطريق العلم بالمقابل، هو التعبير عن الأسباب التي تجعل الفكرة حقيقية. وهذا هو ما يتأسس

(61) Plato, Symposium, op. cit., pp. 30- 31- 32.

(62) Ibid, p. 32- 33.

(63) Ibid, pp.34.

عليه تفلسف سقراط^(٦٤). وأرى أن تعبير بريئة هنا يشير بها لاكان لمباشرة هذا النوع من المعرفة فهو لا يعتمد في تشكله، وليس التعبير عنه، أو إنتاجه على البنية الرمزية، أي على الدوال التي تخون الواقع وتستبدله بالرموز. أما تصور هذا النوع من خطاب بوصفه علماً فأنا أرفضه من حيث اهتمامي بالتمييز بين العلم والفلسفة رغم اشتراكهما في هذا النوع الخطابى وأفضل تعبير أفلاطون الأكثر دقة في رأبي وهو النظام المعرفي ال Episteme، وهذا طريق الفلسفة في إنتاج المفاهيم. وعليه فتصور سقراط عن المعرفة هنا يستبق التصور المعاصر للمعرفة بوصفها إنتاجاً لمفاهيم حول الموضوع وليس اكتشافاً لما هو عليه في الواقع^(٦٥).

ثم ينتقل سقراط إلى حوار مع أجاثون حول طبيعة الحب بعد أن أسس الطريقة التي علينا اتباعها للوصول لذلك. ويهتم لاكان هنا بإبراز أن تحديد أجاثون للحب بوصفه حباً للجمال أو رغبة فيه، هو الذي مهد لتناول سقراط للحب بوصفه تساؤلاً حول الرغبة. وذلك للتدليل على فكرته عن الاستمرارية في طرح الأفكار بين المتحاورين أو توزيع أفلاطون لحقيقة موضوعه بطرق غير مباشرة في الخطابات المختلفة^(٦٦).

وخلال الأسئلة التي يطرحها على أجاثون، في الجزء الوحيد الذي تظهر فيه طريقة الحوار المعتادة في محاورات أفلاطون، يصل إلى تصور هام بالنسبة لنا وهو عدم قدسية الحب ولا كماله. وهو يصل لذلك عن طريق فكرة شبيهة بفكرة لاكان المحورية عن الافتقار كمحرك للرغبة الخاصة بالحب. فيصل من الحوار أن الحب هو حب لشيء ما عند المحبوب وليس حباً لاشيء أو لعدم. وأن المحب يكون لديه رغبة في هذا الشيء الذي يوجد عند المحبوب لأنه لا يمتلكه. والنتيجة هي أن "الحب هو حب لشيء نفتقره أو لعدم".

(64) Lacan, Transferece, op. cit., p. 38.

(٦٥) راجع على سبيل المثال تصور جيل دلوز عن الفلسفة بوصفها إنتاج لمفاهيم وتصور باديو عن إجراءات الحقيقة الأربع أيضاً بوصفها إنتاج للحقيقة وتصور فوكو عن نظام الحقيقة وإجراءات تشكلها.

(66) See: Ibid, p. 109.

ولمزيد من الدقة يضيف سقراط إنه ربما يكون لدينا رغبة في شيء ما عند الآخر ورغم امتلاكنا له إلا أننا نرغب في استمراره. و"الاستمرار" أيضا هو شيء نفتقر إليه، إذ ليس لدينا في الوقت الحالي غير الحاضر^(٦٧). والنتيجة في تشابكها مع حديث أجاثون ومن سبقه هي أن الحب ليس جمالا ولا خيرا، بل هو رغبة ولنقل سعياً للوصول إلى الجمال والخير. ويوازي لاكان هنا بين قول سقراط إن الحب هو حب لشيء نحن محرومون منه، وبين تأسيسه هو الرغبة على الحرمان.

ننتقل لحديث سقراط على لسان ديوتيميا^(٦٨) Diotima الذي يصيغه في شكل حوار، ويتخذ سقراط هنا موضع التلميذ، وتبقى نفس بنية العلاقة بين الأستاذة هنا "ديوتيميا" والتلميذ سقراط هي الوصول للحقيقة عن طريق السؤال. فرغم أن ديوتيميا حكيمة وتعرف كل شيء عن الحب، كما يقرر سقراط، إلا إنها تبدأ مثل سقراط من نقطة السؤال أو عدم المعرفة. لكننا لاحظنا أن سقراط لم يقم بدور التلميذ في كل الأوقات أي الذي يقدم الإجابات ليقوم الآخر بتحليلها وبيان مشكلاتها، بل كان يرد على العديد من أسئلتها بقوله "لقد قلت لك أنني لا أعرف ولهذا السبب أتيت إليك لتعلميني" وعليه فهو لم يتخل عن موقعه المفكر للمعرفة، بمصطلحات لاكان، والذي يخص الطرف الفاعل الذي لديه رغبة وافتقار (للمعرفة هنا) والذي يمثل ذاتاً راغبة وليس موضوعاً مرغوباً فيها^(٦٩).

وفى تفسير لاكان للسبب الذي جعل أفلاطون يتحدث حول الحب على لسان ديوتيميا فهو يرفض ما قاله العديد من الباحثين حين ذهبوا إلى أن سقراط قد أراد بذلك عدم إحراج أجاثون بعد انتقاده الشديد له. ويرجعه بالمقابل إلى عدم ملائمة

(67) Pato, Symposium, op. cit., p. 35.

(٦٨) وقد قام لاكان ببحث تاريخي طويل وصل من خلاله إلى التأكيد على أن ديوتيميا شخصية خيالية كتبها أفلاطون، وليست حكيمة موجودة بالفعل في الواقع.

(69) See Ibid, 37.

موضوع الحب مع طريقة سقراط المعتادة بالدحض والتوليد، من حيث كونها طريقة عقلانية ومنطقية، وموضوع الحب غير محدد وملتبس^(٧٠).

أما عن سبب اختيار أفلاطون امرأة ليتحدث سقراط على لسانها أو لتكون معلمته عما هو الحب؟ فيؤكد لاكان أن المجتمع اليوناني القديم قد وضع للمرأة مكانة مهمة، وبالذات فقد كان لها ثقل كبير في مسألة الحب. وهو يشير هنا إلى توصل هذا المجتمع لما وصل إليه هو حول الربط بين الحب والأنثى من حيث أنها الأكثر قدرة وانفتاحا على التعبير عن الافتقار والنقص الخاص بها، الذي يمثل الطبيعة الأساسية للحب عنده^(٧١). ويؤكد فينك أن حديث سقراط في مسألة الحب على لسان ديوتيميا هو تدليل على تصور لاكان عن أنثوية الحب^(٧٢). ومن ناحية أخرى لا يعتقد لاكان في القيمة الخاصة لحديث ديوتيميا رغم ما يتم تصويره عادة على أنه يعبر وحده عن رأى أفلاطون في المسألة، بل يراه كباقي الخطابات به جوانب تضىء بعض الجوانب حول تصور أفلاطون عن الحب وجوانب أخرى يوجد بها ثغرات، تحديدا من حيث طريقة الوصول للمعرفة كما يمارسها سقراط، وهو ما يفسر أيضا وبوضوح لماذا لم يعرض سقراط هذا الخطاب على لسانه. بل ويعتقد أن بعض ردود سقراط على أسئلة ديوتيميا كان بها نوع من السخرية الواضحة^(٧٣). ونعترض على مساواة لاكان لخطاب ديوتيميا بباقي الخطابات، رغم عدم اعتراضنا على أن به ثغرات. حيث أننا نستطيع أن نصل، من خطابها، لرؤية متبلورة حول بنية الحب كتحويل عند أفلاطون، وهو ما سنقوم بتوضيحه في جزء لاحق من البحث.

وتبقى أهمية حديث ديوتيميا كما يرى لاكان في الدلالات التي يضعها أفلاطون في كلامها عن أسطورة ميلاد الحب من الأم بينيا^(٧٤) Penia الفقيرة والمعدمة من

(70) Lacan, Transference, op. cit., p.104

(71) See Ibid, p. 26.

(72) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., P. 67.

(73) Lacan, Transference, op. cit., p. 107.

(74) وتعنى "نقص" أو "فقر". وقد كانت تمثل إلهة الفقر.

كل شيء والأب بوروس Poros الذي يمتلك الحكمة والثراء. حيث تمثل الأم بينيا، الفقيرة أو المعدمة، الحب بوصفه افتقاراً أو حرماناً أو نقصاً Aporia. ويلاحظ أيضاً أن بينيا الأنثى هي الجانب الإيجابي في ميلاد الحب كما تقول الأسطورة، فهي التي سعت إلى الإنجاب من بوروس، وهو ما يؤكد أيضاً تصور لاكان عن كون الحب أنثوياً لديه ولدى أفلاطون. وفي نفس الوقت نلاحظ أن بينيا المعدمة هي الذات الفاعلة والراغبة، وهو ما يُظهر الجانب الخاص بكون المحب يتحرك برغبته تجاه موضوع المحبوب بدافع من افتقاره^(٧٥). أما بوروس فهو المحبوب الذي يمتلك الموضوع الذي ترغب فيه بينيا.

وننتقل لتأكيد ديوتيميا المهم على أن الحب يقع في منطقة ال دوكسا، التي تصفها بكونها منطقة ما بين المعرفة والجهل. وهي أيضاً المنطقة المتوسطة التي يقع فيها الحب بين القبح والجمال. فالحب يرغب في المعرفة ولا يمتلكها ويرغب في الجمال ولا يحوذه. ونصل إلى تقرير ديوتيميا أن الحب هو "ما بين الاثنين" metaxu^(٧٦). فالحب إذاً ينطلق من رغبة تجاه المعرفة وتجاه الحب وتجاه الخير. وهو ما سنوضحه أكثر في تناول نظرية لاكان عن الحب بوصفه تحويلاً. ونشير هنا إلى الموازة التي يقيمها لاكان بين الحب والفلسفة وهو ما تقوله ديوتيميا بصورة مباشرة حين تقول لسقراط: "إن الحب فيلسوف فهو في مكان بين الحكيم والجاهل، وهو ما يرجع لنسبه من أب يمتاز بالحكمة والثراء وأم لا تمتلك أياً منهما"^(٧٧). ويظهر هنا تناقض بين تعريف سقراط للمعرفة في بداية حديثه وتمييزها عن ال "دوكسا"، التي تضع الحقائق دون تبيان أسبابها، وبين تصوير ديوتيميا للفيلسوف بوصفه هو الحب الذي حددته في كونه يقع في مكان ال "دوكسا". وأعتقد أن ما تشير إليه ديوتيميا بحديثها عن ال "دوكسا" يشير لحركة الفيلسوف أو المحب منطلقاً من الجهل أو الافتقار والرغبة ومتوجهاً نحو الحقيقة أو الجمال أو الخير.

(75) Ibid, pp. 110- 111.

(76) Plato, Somposium, op. cit., p. 40.

(77) Ibid, p. 41.

وتقدم الفيلسوفة الفرنسية النسوية لوسي إيريجاري Luce Irigaray في كتابها "قراءة لمأدبة أفلاطون: خطاب ديوتيميا" تحليلاً قريباً مما ذكرناه حيث ترى أن ديوتيميا "تؤسس لفكرة المتوسط intermediary. فهي تكشف عن وجود ثالث موجود هناك من الأصل ويسمح بالتطور من الفقر إلى الثراء، ومن الجهل إلى الحكمة. وهذا التطور أو التقدم يؤدي إلى كمال أكبر في الحب. فالحب هو ما يؤدي إلى المعرفة وليس العكس، وذلك على المستوى العملي والميتافيزيقي. إن الحب هو الموجه والطريق وقبل كل شيء هو الوسيط Mediator.... إن كل شيء في تلك العملية يتطور ولا يكتمل أبداً"⁽⁷⁸⁾.

وإن كان هذا التعريف السلبي للحب غير كاف بالنسبة للمتحدثين فقد أدخلت ديوتيميا تصور الشيطاني Demonic وهو ما تم ترجمته أحياناً بالروح Soul. والشيطاني هو تصور لشيء يتوسط بين الخالدين والفانين أي بين الآلهة والبشر. وتكتمل العلامات التي تؤكد للاكان على انطلاق أفلاطون في تصويره عن الحب، من استيعابه الاستباقي للنفس البشرية ومشاعرها وطريقتها في الحب، فالشيطاني الذي تورده ديوتيميا هو "عالم الرسائل الملعونة التي لا تدرك الذات دورها الخاص في تشكيلها. إنه مجال اللاوعي الذي اكتشفه فرويد، من حيث أن رسائل اللاوعي تخصنا ولكنها رسائل من مستوى الواقعي"⁽⁷⁹⁾ غير القابل للتعبير عنه، فاللاوعي عند لاكان له بنية رمزية ويتحدث عن الواقعي حين يقوم باختراقه من خلال رسائل تقع في مجال الرمزي.

ونصل إلى التحول الأخير عند دخول ألقبياديس وحديثه الشخصي عن علاقته بسقراط، والذي اهتم لاكان بتحديد كونه يقع في مجال "الاعتراف". ويتوقف لاكان هنا عند مصطلح أجالما agalma الذي أتى في خطاب ألقبياديس في إطار وصفه لسقراط، بكونه محباً، ليوضح الطريقة الرمزية الملعونة التي يمكن التعبير بها

(78) Luce Irigaray, Sorcerer Love: A Reading of Plato's Symposium, Diotima's Speech, tr. By Eleanor H. Kuykenda, In Hypatia, Inc. and Blackwell Publishing, Vol. 3, No. 3, 1989, (pp. 32-44), pp. 32 – 33.

(79) Lacan, Transference, op. cit., p. 112.

عن الحب. فالأجالما هي عروس خشبية مزينة من الخارج وتحتوي على اشياء ثمينة مضيئة وبراقة مختبئة بالداخل. وقد أراد ألقبياديس مع تذكرها أن يكشف عن جاذبية سقراط التي لا ترجع إلى الجمال، الذي يفتقره سقراط كما هو معروف عنه. لكنها تكمن في الأجالما الخاصة به، أي تلك الصور الصغيرة الموجودة بداخله. ويرى لاكان أن أفلاطون قد فجر على لسان ألقبياديس نظريته عن الشيء the thing بصورة سابقة لعصره. والشيء عند لاكان هو ما يهرب من نظام الترميز التقليدي ويكمن وراء توهج الرمز signifier. ويوضح لاكان أن سقراط يظهر نفسه كمحلل حقيقي، حين يوافق على شرح ألقبياديس للأجالما، أما في قوله له "أن خطابك هو في الحقيقة ليس موجها لي بل لأجاثون" فإن سقراط يكشف من خلاله عن مكر اللاوعي والتفافاته وصعوبة الإمساك به⁽⁸⁰⁾.

العنصر الثالث: عناصر نظرية لاكان عن الحب من خلال تحليله للمأدبة

قام لاكان بتحليل بنيوي ولغوي لمحاورة المأدبة اتسم بالتفصيل من ناحية وبامتزاج تصورات التحليل النفسي مع تصورات فلسفية، كما أنه قام بتحليل عدد من التصورات والأساطير والشخصيات الموجودة في المحاورة تحليلاً تاريخياً من حيث نشأتها وأصلها. وكان نتيجة عمله المستفيض هذا أنه قام بتطوير مصطلح التحويل transference الذي نشأ مع فرويد⁽⁸¹⁾ كما أنه صاغ مصطلحاً جديداً في مجال التحليل النفسي، وهو الموضوع الآخر الصغير object small o⁽⁸²⁾، وبلورة نظريته عن الحب كتحويل وربطها بالفلسفة.

أولاً: الحب علاقة غير ندية تنطلق من الرغبة

نسعى هنا بصورة متدرجة إلى إظهار تصور لاكان عن الحب بوصفه تحويلاً، وهو تصور متداخل تماماً، ولكن لطبيعة طريقة البحث فسندطر إلى تقسيمه ثم إعادة تجميعه في تداخله. وتتمثل تلك العناصر المنفصلة المتداخلة من نظريته

(80) Luce Irigaray, Sorcerer Love: A Reading of Plato's Symposium, Diotima's Speech, op. cit., pp. 32 – 33.

(81) انظر تصور التحويل كما ظهر عند فرويد من كتاب:

Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., pp. 55- 56.

(82) Luce Irigaray, Sorcerer Love, op. cit., p. 44.

في الجوانب الأساسية الآتية: الحب علاقة غير ندية تنطلق من الرغبة. الحب حرمان وهو ما تنطلق منه الرغبة، الحب تحول المحب لمحبوب والمحبوب لمحبه ليصبح الطرفين ذاتين وموضوعين في الوقت نفسه، وهو ما يعبر عن معجزة الحب أو حالة الحب كما ينبغي أن تكون. ونصل من خلال تلك الجوانب المشكلة لنظريته عن الحب كتحويل إلى نموذج الحب بوصفه تحويلاً كما يظهر بصورة خاصة في إطار العلاقة بين المحلل النفسي والمحلل في جلسات التحليل النفسي، وأخيراً نصل إلى التوازي الذي يقيمه بين التحليل النفسي والفلسفة من خلال نموذج سقراط في علاقته بالمعرفة. وسنحاول أن نبرز في هذا كله الجانب الأخلاقي في الحب وفي التحليل النفسي، وموقع علاقة الحب بوصفه تحويلاً داخل النظام الرمزي.

الحب هو رغبة تنطلق منها ذات المحب في توجيهها إلى موضوع محدد عند المحبوب، حيث يتوقع المحب أنه سيملاً الفجوة أو الحرمان الذي يشكل تلك الرغبة. وهو ما يتضمن أن علاقة الحب في لحظتها الأولى هي علاقة غير ندية بين ذات محبة ورغبة وموضوع مبهر جميل أو خير.. إلخ عند المحبوب⁽⁸³⁾. وتندرج علاقة الحب بهذا الشكل في المستوى الرمزي، فالطلب الذي يتوجه به المحب للمحبوب متجذر في الرغبة التي تعبر عن مناطق من الحرمان تم إحصاؤها أو كبتها، وتظهر في اللاوعي في بنية رمزية. هذا الحرمان الذي تسعى الرغبة لمثله تترجمه الذات إلى شيء ما غير محدد. إن هذا الشيء حين يظهر في طلب أتوجه به للمحبوب يتمثل فيما يطلق عليه لاكان الموضوع الآخر الصغير objet petit autre الذي يكتب بالصورة الرمزية التي يفضلها لاكان a، وهو "بديل مؤقت للحرمان الذي تنطلق منه الرغبة في الآخر، وتضعه ذات المحب في مكان الحرمان"⁽⁸⁴⁾.

(83) Lacan, Seminar, p. 28.

(84) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., p. 66.

فهناك إذًا موقعان مختلفان للذات في علاقة الحب تلك، من ناحية تستمر الذات في طلب أشياء جديدة، ويعتبر كل طلب منهم هو "ما يريده حقيقة"، ومن ناحية أخرى تفترض الذات مؤقتًا استحالة إشباع طلب الحب فيرفض ما يقدمه له المحبوب، وهو يقترب بذلك من الرغبة الخالصة بوصفها فراغًا. وهذا النوع من الإحباط لا يخص التخيلي الذي هو إحباط من عدم التوافق مع المثال التخيلي، ولكنه يخص اللحظة، التي تهرب سريعًا، وتخرق فيها الاجالما الواقعي بوصفه فراغًا، أي تخرق الحاجز الخاص بالتخيلي-الرمزي الذي يخفي الواقعي، ويجعل الواقعي بالتالي يظهر في الوعي الذاتي. وهذا هو الفرق بين أن تقيم علاقة مع طلب الآخر، وبين أن ترتبط مؤقتًا بالرغبة الخالصة للآخر، وبالتالي تكون راغبًا بصورة خالصة^(٨٥).

وهكذا يقدم لنا لاكان من البداية وكعادته انقلابًا في التصورات السائدة عن الحب في زماننا، فالحب لا يتأسس على مساواة وندية ولا يحدث بين ذات في علاقتها بذات، بل ذات في علاقتها بموضوع. كما استبعد لاكان من خلال طرحه للحب كتحويل هنا التصور الرومانسي والتخيلي الخاص بحب الذات النرجسية لنفسها، والذي لا يقع في المجال الاجتماعي الرمزي الذي تتوجه فيه الذات لشيء ما لدى آخر مختلف عنها كما هو الأمر هنا. ومع ذلك فالمحبوب في علاقة الحب هنا في بقائه في موقع المحبوب فإن حبه نرجسي لنفسه، فالحب لدى المحبوب يتمثل في فخره وسعادته بما لديه من خصائص تجعله محبوبًا. وأخيرًا فتصور لاكان عن الحب "يختلف عن التعريفات التقليدية للحب التي تضعه في موقع الإرادة الحرة للشخص"^(٨٦).

(85) Chiesa, Subjectivity and the otherness; A Philosophical Reading of Lacan, op. cit., p. 226– 227 (in notes).

(86) Darlene Demanda, Lacanian Perspectives on Love, In Kritike Volume 8 no 1, 2014. pp 102– 118, p. 102.

ثانياً: الحب حرمان Lack

إن تصور الحرمان هو تصور أساسي في التحليل النفسي عند لاكان، وقد أثر في العديد من الفلاسفة المعاصرين، ونستطيع أن نتلمس أصوله في محورية تصور السلب عند هيجل، وهو من أكثر الفلاسفة تأثيراً في تشكيل فكر لاكان. ويؤكد لاكان على محورية تصور الحرمان في نظرية الحب عند أفلاطون كما ظهرت في المأدبة، وهو ما يظهر في حديث سقراط عن كون رغبة المحب في موضوع ما عند المحبوب تتأسس على الحرمان⁽⁸⁷⁾، وأيضاً في تصوير ديوتيميا لميلاد الحب بوصفه ناتجاً عن رغبة بينيا في إنجابها، وهي التي تتصف بالافتقار والحرمان.

وهو ما يقلب مرة أخرى التصورات التقليدية عن الحب، فالمحب لا يقدم لمحبيه خصائص أو أشياء إيجابية بل إن ما يقدمه له هو ما يخصه من سلب وحرمان. فالمحبيب وهو الطرف السلبي في العلاقة كما رأينا هو وحده الذي لديه شيء ما أو يمتلك شيئاً قيماً يتوق المحب إلى امتلاكه. أما المحب فهو يعطى تحديداً "ما لا يمتلكه أي حرمانه أو افتقاره لشيء ما". ويمثل هذا الحرمان فجوة تتوق الرغبة لملئها.

وتأتى تلك الفجوة بتعبيرات التحليل النفسي من الإخفاء الرمزي الذي يتجذر في الانفصال عن الأم مصدر الإشباع الأول⁽⁸⁸⁾. ومن كافة الصدمات والحرمانات التالية التي لم تكن قادرين على صياغتها في كلمات. ويشكل هذا الحرمان كينونتنا our being الخاصة التي تشكل تفردنا الذاتي. ن هذا الحرمان الأصيل والمتجذر في وجودنا مؤلم بالطبع، ولذلك تطمح الرغبة في توجيهها للآخر المحبوب إلى تعويض هذا الحرمان وملء الفجوة التي يمثلها، وهو ما لا نصل إليه أبداً إلا بالموت. فملء فجوة الحرمان هو قتل للرغبة التي تمثل سعياً لأن نكون أنفسنا. ويعبر فينك عن ذلك بقوله: "إن هذا الحرمان غالٍ عندنا، فهو يعرفنا

(87) Lacan, Transference, op. cit., p. 126.

(88) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., p. 64

أننا نشعر، وهو ما يصل بنا إلى قلب تفردنا المدرك، إلى قلب اختلافنا الذاتي، أي ما يجعلنا مختلفين عن أي شخص آخر. وعليه فنحن لا نحب أي أحد نقابله بل فقط ما نتوقع أن يكون متوافقاً مع حرماننا^(٨٩).

ويرتبط الحب بالحديث، أي باللغة والرموز، فإن تحب شخصاً هو أن توصل له بالكلمات أنك محروم، وإنه يرتبط بصورة حميمية بهذا الحرمان، أي أن حرماننا يخصه^(٩٠). وكما يقول لاكان: "فإن نقدم تمثيلاً representation لشيء ما لشخص ما، هو أن نعطي علامة على الحرمان الخاص بنا"^(٩١). ويؤكد فينك بوضوح أن كل حديث هو طلب لشيء ما نحن محرومون منه، أو على الأقل طلب بأن يتم السماع لنا ومعرفتنا بوصفنا محرومين في جانب ما، أي نطلب أن نحب. وعليه يؤكد لاكان على أن كل حديث يشكل طلباً للحب، بدءاً من صرخة الطفل الأولى التي نقول بها إننا محرومون من الأكل والدفء والاهتمام^(٩٢).

وبما أن هذا الحرمان وتلك الفجوة التي تولد الرغبة تعبر عن كينونتنا المتفردة، فاللغة والحديث يرتبط بسعيها لأن نكون. ويعبر لاكان عن ذلك بقوله: "إن الكائن المتحدث، هو بالضرورة إرادة أن يكون، تلك الإرادة التي تنشأ عن علاقة مع الخطاب. تلك الرغبة في أن نكون، هي شيء لا يمكن ملؤه"^(٩٣).

وأخيراً يصل لاكان من جوهرية الحرمان والقدرة على التعبير عنه في لغة لعلاقة الحب، إلى كون "الحب أنثوي". وقد قام لاكان بإبراز تلك الفكرة في المأدبة من واقعة أن كل ما قدمه سقراط عن الحب كان على لسان امرأة، ديوتيميا، وفي قولها لسقراط أنه قد تصور خطأ في البداية أن الحب هو أن تكون محبوباً. وهو ما يستنتج منه فينك أن كل ما فكر فيه سقراط عن الحب قبل أن توجهه هي، كان مرتبطاً بمنظور ذكوري يرى فيه أن المرء يتمنى فقط أن يستقبل الحب، وليس أن يكون محباً بصورة فاعلة بالتعبير عن حرمانه الخاص لشخص ما.

(89) Ibid, p. 65.

(90) Loc. Cit.

(91) Lacan, Transference, op. cit., P. 227.

(92) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., pp. 67- 68.

(93) Lacan, Transference, op. cit., P. 346.

ترتبط فكرة أن الحب أنثوي بقدرة المرأة أكثر من الرجل على التعبير عن حرمانها. وهو ما أراه أمرًا اجتماعيًا ثقافيًا يخص التربية، وما هو متوقع اجتماعيًا من كل منهما. وعلى أي حال فلاكان لا يقصد الأنثى أو الذكر بالمعنى المادي التشريحي والكروموزومي، فكل من يثبت نفسه على الموضوعات الجزئية في شريكه، ويكون مستعدًا لأن يحب أي أحد، وغير قادر على التوجه للآخر بحرمانه تحديدًا، تكون لديه بنية ذكورية. وأي شخص يهتم بتقديمه لحرمانه الشخصي، وغير قادر على التعلق إلا بآخر يرى أنه قادر على الشهادة على حرمانه هذا بل ومحبته، فهو يتميز ببنية أنثوية^(٩٤).

ثالثًا: انتماء الحب للنظام الرمزي وموضوع الآخر الصغير

وفى تناول لاكان للاجالما في حديث ألبيدايس ننتقل إلى الكشف عن موقع الحب بوصفه تحويلًا داخل الأنظمة الثلاثة لعمل الوعي، ويحدده بكونه يقع في النظام الرمزي. وعليه فإن الحب مجاز، وبالتالي غموض. وقد قام لاكان في السمينار الثامن بمفصلة مصطلح الموضوع الآخر الصغير مع لفظ الاجالما، الذي يعبر عن موضوع ثمين وغالٍ ومبهر مخفٍ داخل صندوق (عروسة خشبية) ليس له نفس القيمة^(٩٥). وهو موضوع الرغبة التي نسعى إليها لدى الآخر.

ويختلف الآخر الصغير عن الآخر الكبير بوصف الأخير يعبر عن أخرى جذرية غير قابلة للاختزال، فهو يمثل الأب أو القانون الذي يقول لا، متمثلاً في أي مبدأ كبير نعتنقه. ويعمل الآخر الصغير في علاقة مزدوجة مع الأنا، فهو موضوع رغبة الذات موضوعًا على آخر محدد، وبالتالي فهو ليس آخر تامًا. وإن كان لاكان في اهتمامه بتصوير الحب في المستوى الواقعي، في مرحلته المتأخرة بدءًا من عام ١٩٧٣، قد طور من موضوع الآخر الصغير ليشير إلى سبب الرغبة، وليس ما نتوق إليه في الآخر، فابتعد عن أن يكون موضوعًا نسعى للحصول عليه بل الالتفاف حوله^(٩٦).

(94) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., p. 66.

(95) Evans, Dylan, An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis, op. cit., (object small a).

(96) Loc. Cit.

والاجالما هي الجزء المخفي أو الموضوع المفتقر إليه أو الناقص بالنسبة للوعي الذاتي للمحب، فهو مرتبط بالحرمان ويقدم نفسه سلباً بوصفه نقصاً أو افتقاراً، وهذا هو تحديداً سبب ثرائها وجلالته، من حيث كونها تعبر عن كينونتنا المتشكلة من الحرمان، والتي تميز ماهية تفردنا. وتتبع تلك الجلالة في رأى جيجك تحديداً من وهمنا بأن الاجالما لم توضع في مكانها داخل الآخر من قبلنا، بل إننا قد وجدناها هناك بالفعل بوصفها "إجابة من الواقعي". وعن طريق هذا القلب الصوري للواقعي في الرمزي، يدخل الموضوع الآخر الصغير، الذي هو في جانبه المادي يعبر عن حادثة خارجية تخص خبرتنا إلى مجال الترميز، ويتم تزويده بالمعنى⁽⁹⁷⁾.

وهناك طريقتان في الاقتراب من الاجالما أو موضوع الآخر الصغير، حيث تسعى الذات إلى محو العلاقة المتناقضة التي تحتفظ بها مع الأنا المثالية الخاصة بها، حين تكون الذات مأسورة داخل جدل الطلب، أي حين تستمر في طلب شيء آخر، ولا تسعى مباشرة إلى الاجالما، وأيضاً حين ترغب في الاجالما بصورة واضحة، ولكن من حيث كونها موجودة في الآخر أكثر من كونها تعبر عن الآخر نفسه ورغبته الخاصة والفراغ الخاص به.

فهناك إذاً موقعان مختلفان للذات في علاقة الحب تلك، أن تستمر في طلب أشياء جديدة، وتعتبر كل طلب منها هو "ما تريده حقيقة"، ومن ناحية أخرى تفترض الذات مؤقتاً استحالة إشباع طلب الحب فيرفض ما يقدمه له المحبوب، وهو يقترب بذلك من الرغبة الخالصة بوصفها فراغاً. وهي اللحظة التي تخترق فيها الاجالما، الواقعي بوصفه فراغاً، وتخترق الحاجز الخاص بالتخيلي-الرمزي الذي يخفي الواقعي، ويجعل الواقعي بالتالي يظهر، بصورة أو بأخرى، في الوعي الذاتي. وهذا هو الفرق بين أن تقيم علاقة مع طلب الآخر، وبين أن ترتبط مؤقتاً

(97) Wolfe, Graham, "Love and Desire "Between Two Deaths": Žižek avec An-sky"; In international Journal of zizek studies, Volume Four, Number Three – General Articles, 2010, P. 17.

بالرغبة الخالصة للآخر، وبالتالي تكون رغبًا بصورة خالصة^(٩٨). ويؤكد صفوان^(٩٩) الاختلاف بين الاجالما والموضوع الآخر الصغير، حيث يرى أن الذات وهي ترغب في الاجالما بوصفها موضوع الآخر الصغير، فهي لا ترغب في شيء سوى رغبة الآخر بوصفها حرمانًا/ فراغًا. وهو ما يتأكد من قول لاكان: "إن الرغبة هي رغبة في الحرمان الذي يحدد رغبة أخرى لدى الآخر"^(١٠٠).

رابعًا: الحب كمعجزة تحول المحبوب لمحِب

ومن خلال تحليلنا لتصورات لاكان في السيمينار الثامن نميل إلى اعتبار كافة العناصر التي تحدثنا عنها سابقًا تتشابه لتتحقق لنا فكرة الحب كتحول. وهو ما يتأكد في وصف لاكان لهذا التحول بالمعجزة، وأيضًا في وصف عملية التحول أو الاستبدال بقوله: "إن ما ينتج في تلك اللحظة هو الحب"^(١٠١) حيث يتبلور الحب، أو على الأقل شكل الحب الذي ينسج في علاقة بتحليلاته حول المأدبة، فيما يحدث من تبديل أو استبدال للمواقع بين المحب والمحبوب. وهو ما سنقوم بتحليله هنا.

ويقوم لاكان بشرح معجزة تحول المحبوب إلى محب، والتي أشرنا إليها في تحليلنا للمحاورة نفسها في تضحية أخيل التي جعلته يتحول إلى محب. وإن كان هذا التحول ينتج عن الحب بوصفه عملية متحركة ومتطورة تحدث في الزمن، وربما لا تكتمل في بعض الأحيان، إلا أن لاكان يحدده بوصفه الأمر الأخلاقي الخاص بالحب. فالأمر الأخلاق يظهر في المحب، من حيث كونه يعبر عن الحب بوصفه كذلك، وإن كان اليونان قد احتقوا بالحب نفسه كما يظهر عند هوميروس مثلًا، إلا أنه مع زمن سقراط أصبح موضوع الحب - وهو المحبوب -

(98) Chiesa, Subjectivity and the otherness; A Philosophical Reading of Lacan, op. cit., p. 226 – 227 (in notes).

(99) كاتب ومحلل نفسى مصري أقام بفرنسا، وكان تلميذاً للاكان و له العديد من الكتابات عنه وعن التحليل النفسي عموماً، وقد لقب بلاكان العرب.

(100) Ibid, p. 162.

(101) Lacan, Transference, op. cit., p. 46.

مهم أيضًا، وظهرت أغاني لا تمدح فقط الحب بل والمحبوب أيضًا. ويعتقد فينيك أن الحب الذي أكنه للمحبوب هو الأهم وليس تحول المحبوب إلى محب، فمشاعر الحب عنده هي التي تجعل الإنسان يشعر بأنه حي وموجود⁽¹⁰²⁾. ولأن هذا التحول معجزة فسيقوم لاكان بالتعبير عنه من خلال أسطورة خاصة به، فبعد أن قام لاكان بإبراز أهمية الأساطير والحديث عن الآلهة في محاوره المأدبة لملائمته مع موضوع الحب في غموضه واقترابه من النظام الواقعي غير القابل للتعبير عنه، نجده هنا يعبر هو نفسه عن بنية الحب كما تظهر في المأدبة عن طريق الأسطورة. يقول: "إذا أردت أن أصور لكم تلك الرغبة في الموضوع المحبوب سوف أقرنها بيد تخرج لتصل إلى فاكهة حين تطيب، أو تسحب ناحيتنا وردة تفتحت، أو تدفع قطعة خشب اشتعلت فجأة بالنار؟... إن لي الحق لكي أقدمها (بنية الحب في المأدبة)، ولكي أجعلها مادية أمامكم، ولكي أعطيكم صورة كاملة عنها، أن أصنع منها أسطورة. بالنسبة لتلك اليد الممدودة تجاه فاكهة أو تجاه وردة، أو قطعة الخشب المشتعلة فجأة، فإن تحركها تجاههم مرتبطة تمامًا بنضج الفاكهة أو جمال الزهرة أو اشتعال قطعة الخشب، ولكن في تلك الحركة الخاصة بالوصول أو السحب أو الدفع تبرز يد أخرى وتمتد لتقابل يدك، وفي تلك اللحظة تكون يدك هي المثبتة في النضج التام للفاكهة أو اكتمال تفتح الزهرة أو تُعَجَّر في تُعَجَّر يد تتفجر باللهب. إن ما ينتج في تلك اللحظة هو الحب! ومن المهم ألا نتوقف هنا، وأن نقول إننا نواجه الحب وجهًا لوجه... كنت أنت في البداية المحبوب، أي الموضوع المحبوب، وفجأة أصبحت المحب، أي الشخص الذي يرغب"⁽¹⁰³⁾.

ومثلما أشرنا في مثال أخيل عن كون تحوله من محبوب إلى محب هو الأمر الذي أبهر الآلهة، فإن لاكان يؤكد على أن المعجزة تكمن في اليد التي تظهر من الجانب الآخر. وفي تفسيره لأسطوريته يوضح أن الاستبدال الذي يحدث للمحب

(102) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., p. 73.

(103) Lacan, Transference, op. cit., pp. 45 – 46.

من المحبوب هو المعجزة. فالظهور الكامل للحب كما يقول لاكان: "يأتي من تحول المحبوب إلى محب. ومن خلال هذا تحديداً يتم إدخال ظاهرة الحب في الجدل الخاص بالمأدبة"^(١٠٤).

ويتضح لنا هنا أن تحليلات لاكان للحب تصل به لكون الحب عملية بها تتحرك وتتغير في الزمن، تكون نقطة البداية فيها والأساس التي تتأسس عليه هو رغبة المحب الناتجة عن حرمانه، والذي يتوقع أو يتوهم أنه موجود لدى الآخر متمثلاً في موضوع الآخر الصغير، فيسعى للإمساك بهذا الموضوع أو لملء الفجوة التي تحركه تجاهه، وفي توجهه وسعيه هذا يرى الآخر هذا التآلق النابع من حرمانه المغروس في الواقعي، وفي تأثره به يتحرك حرمانه هو الذي يريد أن يظهر، وتتوجه الرغبة تجاه الذات المحبة الأولى متوقعة أن تملأ الفجوة الخاصة بها في المحب الذي يتحول بدوره إلى موضوع رغبة المحبوب في البداية، وفي تلك اللحظة يتحول إلى محب. ونصل هنا إلى الطريقة الوحيدة التي يحدث بها الحب المتبادل، وهي أن تحب حرمان الآخر أو رغبته، بأن تراه وتشهد عليه ويؤثر فيك، فنتوجه إليه بحرمانك ورغبتك رغباً في أن يشهد هو الآخر على رغبتك ويحبك، فيتولد الحب.

ويشير فينك هنا إلى أن الحب في اليونان كان مختلفاً عن هذا الحب التبادلي الذي نعيشه في العصر الحالي، بل إن الحب كان يظهر لديهم تحديداً حين يكون مستحيلاً، ويرى بالتالي أنه ربما يكون ما يشعرون به في هذا الوقت هو الرغبة وليس الحب^(١٠٥). وبعيداً عن الممارسات الواقعية للحب في تلك الفترة فإن ما يهمنا هو البناء الذي يقدمه لاكان من عناصر الخطابات المختلفة داخل المحاورة، الذي يكشف عن كونها البنية التي يقدمها أفلاطون لعملية الحب، إن جاز لنا التعبير. فالحب كمعجزة تحول واستبدال، والذي يصور لنا شكل الحب المتبادل

(104) Ibid, p. 47.

(105) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., p. 75.

الممكن كما أرى، لم يستبعد اللحظة الأولى لعلاقة الحب بوصفها غير ندية، وتتمثل في محب فاعل ومحبوب سلبي أو موضوع للحب، بل إن تلك اللحظة هي ما تؤسس للحظة التحول الذي يتضمنها ولا يمحيها. ففي تبادل الحب المطروح هنا ومع تحول المحبوب لذات محبة، لا نكون أمام علاقة ذات بذات أخرى بل نبقى بين علاقة ذات بموضوع في الاتجاهين، أي أمام رغبتين تسعى كل منهما للوصول إلى موضوع رغبتها الموضوع في الآخر. وهو ما يختلف عن الحب التبادلي الحالي من حيث ميلنا إلى تصوره بوصفه علاقة بين ذات متوجهة لذات أخرى، وتحديدًا بين ذات تتطلق ليس من حرمانها بل من خصائصها الإيجابية لتتلاقى مع الخصائص الإيجابية عند الذات الأخرى.

خامسًا: خطاب الحب ينطلق من الجهل، ويتم التعبير عنه بالأسطورة

والكوميديا.

يتوقف لاكان في تحليله لعلاقة الحب بالمعرفة عند بعض الأقوال الهامة التي

قدمها أفلاطون أو سقراط على لسان ديوتيميا، وهي:

"الحب هو أن تعطى ما ليس لديك" - "الحب ينتمي لمنطقة الدوكسا" - "الحب

ما بين الاثنين".

"الحب هو أن تعطى ما ليس لديك" وما ليس لديك هو حرمانك، وعليه

فخطاب الحب يقترب من التعبير عن الواقعي، ويتم التعبير عنه بصورة مجازية

تتضمن الاستبدال الرمزي الذي يظهر في اللاوعي. ولذلك فخطاب الحب خطاب

غامض. وحين ترغب الذات المحبة في رغبة الآخر أي في مبادلتها الحب - الذي

يتمثل كما أشرنا في الجزء الخاص بالحب كتحول، إنه رغبة في شهادة الآخر

على حرماناتك المترسخة في اللاوعي - فإن الآخر لن يستطيع أن يصل إلا إلى

معرفة غامضة بما تقدمه له وهو حرمانك⁽¹⁰⁶⁾.

(106) See, Chiesa, Subjectivity and the otherness; A Philosophical Reading of Lacan, op. cit., p. 163.

وما ليس لديك- هذا الذي أوضحنا أنه يقع في مجال اللاوعي في علاقته بالواقعي- يرى لاكان أن ديوتيميا قد عبرت عنه في ذكرها للشيطاني^(١٠٧) demonic الذي يتوسط بين الخالد والفاني أو بين الآلهة والناس، بل يرى لاكان أن هذا التصور يصح ما قام به علم النفس حين تحدث عن عالم روحاني، وهو تصور متسرع في رأيه لمنطقة اللاوعي التي فيها الحب. ويتضمن الشيطاني تصور للحب يضعه في عالم الرسائل الملغزة الشبيهة بالرمزي الذي يرى لاكان أنه يمثل بنية اللاوعي^(١٠٨).

ولو عدنا إلى اللحظة الأولى التي يبحث فيها المحب عن موضوع ما لدى المحبوب يتوقع أنه سيملاً الفجوة الخاصة بحرمانه، نجد أن المحب لا يعرف ما يبحث عنه في المحبوب، ولكنه يعرف أن لديه شيئاً يفتقره ويريده، والمحبوب أيضاً لا يعرف ماذا لديه يجعله محبوباً من المحب. وهو ما يطلق عليه فينك الجهل المزدوج بين المحبين^(١٠٩). ولو دققنا النظر سنرى تعبير الجهل ليس مقصوداً به جهل مطلق، وإنما هو يقع في مجال الدوكسا.

أما تقرير ديوتيميا أن "الحب ينتمي لمنطقة الدوكسا" فمن الممكن أن نستنتج منه أمرين أولاً: أن كل خطابات المحاورة في مدح الحب تنتمي لهذا الموقع كما أوضح سقراط في حوار مع ألقبياديس حين أوضح أن كافة ما قيل ينتمي لمجال الدوكسا، وليس لمجال المعرفة التي تبحث عن الإبستمية كما يفعل هو. وهو ما أوضح لاكان أنه خطاب غير ملائم للحديث عن الحب، وأنه لجأ لديوتيميا الحكيمة والساحرة ليستطيع أن يعبر عن الحب في مجال ملائم له. وفي إطار تأكيدنا لملائمة خطاب الدوكسان للتعبير عن الحب نستطيع أن نأخذ قول سقراط التهكمي

^(١٠٧) وكلمة شيطاني هنا ليس مقصوداً به أي شر متضمن في كلمة شيطان لكن المعنى قريب من تعبير شيطان الشعر الذي يطلق على الإبداع في غموض مصدره، وقد يترجم في سياق موضوعنا أحياناً بكلمة روح، ونراها ليست ترجمة دقيقة.

⁽¹⁰⁸⁾ Lacan, Transference, op. cit., pp. 110 – 111.

⁽¹⁰⁹⁾ Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., p. 70.

بجدية، كما يفعل لاكان بصدد موقع الجهل الذي ينطلق منه سقراط، حين قال: "لقد كنت أظن أن مدح الحب يكون بالسعي لفهم طبيعته وليس بلصق كل ما هو جميل وخير به، واتضح أنني لا أعرف شيئاً عن مدح الحب. فنستطيع أن نقول إن أفلاطون يشير هنا بصورة مختبئة إلى أن الخطاب الملائم للحب هو خطاب الدوكسا الذي وضعه على لسان كافة المتحدثين قبل سقراط، وهو ما أكدت عليه بصيغة حكيمة ديوتيميا كما رأينا.

"الحب يقع فيما بين اثنين"، وفي توضيح ديوتيميا للدوكسا بكونها فيما بين اثنين، أي بين الجهل والحكمة. يتأكد لنا أن الجهل عند أفلاطون وعند لاكان ليس جهلاً تاماً مثل الجهل الذي تحدثت عنه ديوتيميا، بل هو موقع عدم معرفة بالآخر المحبوب، وليس عدم معرفة مطلقاً. ومن ناحية أخرى إذا أخذنا هذا التعبير في حركيته كما توحى به حركية الانتقال من مستوى لآخر في سلم الحب الذي تحدثت عنه ديوتيميا، سنرى أنه يعبر عن حركة متجهة من الجهل إلى الحكمة كما تقول ديوتيميا. وهو ما ينسجم مع تحليل لاكان لدور المحلل النفسي والحوار الفلسفي عند سقراط الذي ينطلق من موقع جهل، ولكنه ليس جهلاً مطلقاً يتحرك برغبة في المعرفة عند سقراط ومعرفة خبايا اللاوعي عند المحلل النفسي. وهو ما سنتناوله تفصيلاً في العنصر التالي.

وهكذا نكون قد أوضحنا مشروعية اهتمام لاكان وتأكيده المستمرة حول خصوصية خطاب المأدبة من حيث كثافة تضمينه للكوميديا، واتسامه في كثير من الأحيان بالغموض ولجوئه للأسطورة. وعن الطابع الكوميدي الساخر للمأدبة^(١١٠) اهتم لاكان بالتأكيد على تناثر الكوميديا والسخرية في المحاور بصورة كبيرة^(١١١)

^(١١٠) انظر التأكيد على خصوصية الطابع الساخر لمحاوره المأدبة في كتاب:

Corrigan, Kevin & Elena Glazov-Corrigan, Plato's Dialectic at Play: Argument, Structure, and Myth in the Symposium, Pennsylvania State Univ. Press, 2004, p. 1.

^(١١١) انظر مناقشة لاكان لمسألة الكتابة الكوميديية عند أفلاطون في محاوره المأدبة في سيميناره بعنوان المفاهيم الأربعة الأساسية.

وقام بتبرير وجود أريستوفانيس الكاتب المسرحي الساخر وتقديمه لخطاب جدي حول الحب لملائمة خطاب الكوميديا لموضوع الحب، لما به من تناقض صارح يتلخص في جملة لاكان الشهيرة: "في الحب أنت تعطى ما ليس لديك لمن لا يريده"، فما يعطيه المحب للمحبيب هو حرمانه، وما قدمه المحبوب في تحوله إلى محب هو حرمانه هو مرة أخرى. ويؤكد لاكان على ذلك بقوله: "يصل أفلاطون في المأدبة في إظهار دلالة الكوميديا لنا إلى أعلى درجة حدثت في محاوراته كافة، بحيث يصل بها حتى إلى مرحلة الهزل، وهو ما يرتبط بقدرته على توضيح مكان التحويل بأكثر صورة ممكنة من التحديد"^(١١٢).

ومن ناحية أخرى يؤكد لاكان على تضمن خطاب المحاورة الغموض، في تعبيرها عن الحب من خلال العديد من الأساطير، وبخطاب به جوانب ظاهرة وجوانب خفية أو سرية لا يمكن أن يفهمها الجميع بل إنها موجهة لبعض الناس فقط. ومن الجوانب الخفية التي يشير إليها لاكان في اعتقادنا، دور النقلات والتحويلات، والتغيير في ترتيب دور المتحدثين، وأسباب اختيار الشخصيات، وطبيعة المهن الخاصة بهم، وهو ما اهتم لاكان بتحليله وأكد على أهمية دلالاته وخفائه في نفس الوقت. ومن ناحية أخرى يرجع لاكان خطاب الغموض في المحاورة إلى الخداع الذي يظهر في أكثر صورهِ وضوحًا كما يقول في الحب. فالمحب يؤكد لنفسه وللآخر بصورة خادعة ووهمية أن الآخر لديه ما يحتاجه، وهنا نوع من إساءة الفهم المستمرة لما نفتقر إليه تحديدًا.^(١١٣) وبالطبع فإن الخداع الذي يتحدث عنه لاكان يقع في الشكل الرمزي لبنية اللاوعي ولا يتضمن أي قصدية.

Lacan, Jacques, The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis, The Seminar of Jacques Lacan, Book XI, ed. Jacques-Alain Miller, Tr. Alain Sheridan, W. W. Norton & Company, 1998, p. 197.

⁽¹¹²⁾ Ibid, p. 232.

⁽¹¹³⁾ Ibid, p. 133.

العنصر الرابع: الحب كتحويل كما يظهر في التحليل النفسي وفي فلسفة سقراط

يعبر مصطلح التحويل Transference عن ظاهرة تحدث في جلسات التحليل النفسي^(١١٤)، وتعبّر عما تتضمنه العلاقة بين المحلّ والمحلّل النفسي من حب تحركه الرغبة، يحدث بها تحولات، وتكون معيقة للتحليل في البداية ثم أساسية في إمكان نجاحه في مرحلة لاحقة. وقد بدأ الكشف عن تلك الظاهرة وتحليلها مع فرويد، واستمر مع كافة المحللين النفسيين^(١١٥). وقد كانت تحليلات لاكان للمأدبة تهدف بالأساس إلى تطوير تصور التحويل، حيث يرى أن أفلاطون قد قدم في "المأدبة" أول تحليل في التاريخ عن التحويل^(١١٦). ويؤكد لاكان محورية "التحويل"، وما يتضمنه من حب، بقوله: "فلنتذكر أنه في بداية خبرة التحليل النفسي كان الحب"^(١١٧). و"التحويل" كما يقول لاكان هو ظاهرة أساسية، مرتبطة بالرغبة بوصفها الظاهرة المركزية للكائن الإنساني، وهو يؤكد أن تلك الظاهرة قد تم اكتشافها قبل فرويد بكثير. فقد تم التعبير عنها في نص لأفلاطون يناقش فيه الذات الخاصة بالحب، وهو المأدبة^(١١٨).

وتنشأ علاقة الحب بين المحلّ والمحلّل النفسي نتيجة للترتيبات الخاصة بجلسات التحليل. فالمحلل النفسي يهتم بسماع حديث المحلّ عن نفسه، ويتركه يتحدث عن أي شيء دون تدخل ودون هدف. كما أن المحلل النفسي يكون مهتمًا

^(١١٤) تظهر ظاهرة "التحويل" بالذات في جلسات التحليل النفسي الطويلة في الزمن أو المكثفة في المعدل.

^(١١٥) انظر مثلاً تناول المحلل النفسي ميخائيل بالينت للتحويل في كتاب:

Balint, Michael, Primary Love and Psychoanalytic Technique, H.Karnac (Books) Ltd, 1994, pp. from 174 to 187.

^(١١٦) Lacan, Transference, op. cit., p. 12.

^(١١٧) Ibid, p. 3.

^(١١٨) Lacan, Jacques, The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis, op. cit., p. 231.

باكتشاف المعاني المختبئة في خطاب المحلل^(١١٩). كما يفترض المحلل أن المحلل النفسي قادرًا على معرفته^(١٢٠). ويعبر لاكان عن تلك الترتيبات وما تولده من رغبة في المحلل بقوله: "هناك رجل يسعى المرء لأن يأخذ منه معرفة عما هو أكثر شخصية وحميمية في نفسه، وهو غريب عنه تمامًا. وفي الوقت الذي يفترض فيه أنه غريب تمامًا، فهو يفترض أيضًا أنه بالرغم من كونه غريبًا فإنه سيجد لديه تلك المعرفة"^(١٢١).

وإذا تذكرنا أن المعاني المختبئة والحميمية في نفسك تلك، هي حرماناتك وصدماتك التي تترسخ في الواقعي real، وتظهر بصورة رمزية وغامضة في اللاوعي، فسنفهم نشأة مشاعر الحب لدى المحلل تجاه المحلل النفسي. وعليه فالحب كما ذكرنا يتحرك من الرغبة الناتجة عن الحرمان المبنية كي توجه لآخر، وتسعى لأن يتم سماعها والشهادة عليها من قبل هذا الآخر. وهو ما يحدث بصورة مكثفة في جلسات التحليل النفسي. وكما يوضح لاكان على مستوى التحليل اللغوي لتلك العلاقة فإن حب المحلل ينشأ في النقطة التي يصبح فيها المحلل النفسي بوصفه "دال"، موضوع لرغبة المحلل^(١٢٢).

وفي المرحلة الأولى لحب المحلل للمحلل النفسي يسقط المحلل عليه شخصية ما في تاريخه، ويتعامل معه على أساس أنه هذا الشخص، وهو هنا يقوم بتكرار ما repetition تلقائي^(١٢٣) لرغبات الوعي المتشكلة في مرحلة قديمة في الماضي، ويقوم بتحويل تلك الرغبات إلى المحلل النفسي بحيث يجعله موضوع رغباته^(١٢٤). وبتعبير آخر يتم هنا تحويل للعاطفة التي يستدعيها المحلل من آثار

(119) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., pp. 59-60.

(120) Zizek, Slavoj, An introduction to Jack Lacan's through popular culture, MIT Press, 1992, p.82.

(121) Lacan, Transference, op. cit., p. 57.

(122) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., p. 56.

(123) Lacan, Transference, op. cit., P. 169.

(124) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., p. 59.

الماضي من قبل الناس والأحداث، إلى هنا والآن الخاصين بترتيبات جلسات التحليل^(١٢٥). وإن كان حب المحلل للمحلل النفسي في هذه المرحلة حب وهمي، فنحن نرفض ما يتم استنتاجه من ذلك أحياناً، وهو كونه "خطأ"، وليس شعوراً أصيلاً^(١٢٦). حيث نرى أنه لا يوجد شعور صحيح أو أصيل في إطار تحليلات لاكان فالمهم هو أنه موجود، وأن نفهم عما يعبر ولمن هو موجه.

وفي تلك المرحلة الأولى من "التحويل" فإن حب المحلل يمثل إعاقة لظهور صدمات المحلل كما هي، فهي ستظهر في علاقتها بالشخصية التي أسقطها من تاريخه. وسيكون على المحلل النفسي أن يساعد المحلل بتجاوز تلك المرحلة الأولى ليحل التذكر محل التكرار. وهو ما يحدث حين يتحول حب المحلل تجاه المحلل النفسي من إسقاط للشخصية الموجودة في ماضيه إلى حب له كعلاج^(١٢٧). فيتحول الحب من كونه إعاقة لكونه مساعداً على ظهور الحرمان وما قد سببه من صدمات، فيصبح مساعداً على العلاج.

وفي انتقالنا لمكان المحلل النفسي في تلك العلاقة، يظهر لاكان الرغبة التي تحركه بكونها رغبة المعرفة التي تنطلق من احتياجه لمعرفة المحلل لكي يكون قادراً على علاجه. ومن الممكن أن تتحول تلك الرغبة إلى حب ولكن يجب عليه بحكم موقعه أن يوقفها، ويساعده في ذلك ألا ينطلق من رغبته الخاصة في أن يتم رؤيته، وهو ما يتمثل في ضرورة عدم حديث المحلل النفسي عن نفسه، من حيث إن أي حديث عن نفسك هو كما أشرنا طلب حب. وعليه فمن المهم أن نميز بين المحلل النفسي كشخص وبين مكانه داخل اللاوعي الخاص بالمحلل^(١٢٨). وقد تناول العديد من علماء التحليل النفسي حب المحلل النفسي للمحلل تحت مسمى التحويل المضاد Counter Transference لكن لاكان يرى التحويل المضاد

(125) Malone, Karen Ror, & Friedlander, Stephen R. editors, The subject of Lacan, op. cit., P. 172.

(126) Demanda, Darlene, Lacanian Perspectives on Love, op. cit., p. 107.

(127) Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, op. cit., p. 59.

(128) Ibid, p. 61.

بوصفه تحديداً الشعور الذي يختبره المحلل النفسي في التحليل، والذي تحدده علاقته بالمحلل في كل لحظة. ويرى أنه غير مهم كمصطلح مستقل، وأن مصطلح "التحويل" كافٍ وحده لفهم كل ما يحدث في الوضع الخاص بعلاقة المحلل النفسي بالمحلل داخل الجلسات⁽¹²⁹⁾.

وقد استفاد لاكان من تصور "الما بين اثنين" في "المأدبة" في تأكيده على أن المحلل النفسي لا ينطلق من معرفة بالمحلل، ويكون في موضع وسط بين المعرفة والجهل. فهو يعرف بالتأكيد بعض الأمور الخاصة بمجاله كخلفية لديه، لكنه ينطلق في علاقته بالآخر من موقع جهله به، ورغبة في سماعه هو. وهو هنا في موقع ما بين الاثنين، المعرفة والجهل.

ويطلق لاكان على جلسة التحليل النفسي "الحدث البين ذاتي" intersubjective، وفي تحليلنا لهذا التعبير نلاحظ أن كلمة حدث تشير إلى التلقائية التي تتضمنها تلك العلاقة، وضرورة عدم انطلاق المحلل النفسي من ذاته سواء الشخصية أو العلمية أو من موقع الأب أو الأهل، أي من ذاته المثالية كأنا ego. وهو ما يتضمن الابتعاد عن أي موقع سلطوي أو أي شكل من أشكال الحكم على ما يقوله المحلل. فهذا الموقع السلطوي يعيق، كما يؤكد لاكان، التحويل⁽¹³⁰⁾.

وكما يقول صفوان: "قبدل من أن يركز لاكان الانتباه على الفارق بين المحلل النفسي والمحلل، رأى ضرورة فحص علاقة الذات بما يتجاوز الدلالات التي تتشكل في خطابها الخاص ذاته. وهكذا تحل وجهة النظر ما بين الذاتية محل وجهة نظر الذات عن ذاتها. وهو ما يحدث بتحويل التحليل النفسي إلى علم اللغة، حيث تصبح المسألة بالنسبة للاكان في معرفة ماذا يمكن لتكوينات اللاوعي أن تحمل لنا من جديد فيما يخص الدال وعلاقاته بالذات المتكلمة، كما في

(129) Lacan, Transference, op. cit., p. 189.

(130) Ibid, p. 193.

المدلول"^(١٣١). والحديث هنا عن حديث الذات الواعية للمحلل، وما يقوم به المحلل النفسي بالمقابل هو إتاحة المساحة لذات المحلل الراغبة أن تتحرك بتلك الرغبة كاشفة عن حرماناتها وصدوماتها أو "الشيء".

وهكذا فإن دور المحلل النفسي، كما يضعه لاكان في إطار مفاهيم التحليل النفسي، هو أن ينفذ خلال الجانب التخيلي الذي يحجب الرمزي، ويتمثل في الإسقاط أو الوهم الذي يحدث من جانب المحلل. وليقوم بذلك فهو لا يشبط هذا الإسقاط ولا يشجعه، بل يشجع المحلل على الاهتمام بالمحتوى العاطفي نفسه ووضعه في كلمات. وعلى ذلك فإن المحلل النفسي يعمل أكثر من خلال الأسئلة وليس من خلال التفسير^(١٣٢).

ونستطيع أن نربط بين ما قام بتحليله لاكان من خلال الخطابات المختلفة في "المأدبة" عن كون العلاقة بين المحبوب والمحبة ليست بين ذاتين بل بين ذات وموضوع، وبين ما يحدث في التحويل. فالمحلل النفسي يجب أن يضع نفسه بوضوح في المكان الذي يضعه فيه المحلل في "التحويل" وهو مكان الموضوع. وتحديداً الموضوع النهائي لرغبة المحلل، أو كما يقول لاكان "الشيء". ويبتعد عن أن يقوم بلعب دور الذات، ويعتقد أن معرفته وخبرته تؤهله لأن يكون السيد أو القائد لل "شيء" أي لرغبات المحلل المختبئة. وبذلك الطريقة يترك المكان مفتوحاً، ويعطى الفرصة للمحلل أن يجد رغبته، وهي الطريقة الوحيد التي يستطيع بها فهم ما يكمن خلف رغبة المحلل أو "الشيء". وعليه فإن العلاج لا يمكن أن نراه بوصفه حدثاً بين الذوات. فكل من الذاتين، الخاصة بالمحلل النفسي والمحلل، تكون ذات تتوجه لموضوع خاص برغبته الخاصة وتسقطه على الآخر^(١٣٣).
وعلياً أن نتذكر في تناولنا للوضع بين المحلل النفسي والمحلل بوصفه "حدث بين

^(١٣١) مصطفى صفوان، التحليل النفسي علماً وعلاجاً وقضية، ترجمة مصطفى حجازي، نشر

هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، الطبعة الأولى ٢٠١٦، ص ١٩٣.

⁽¹³²⁾ Malone, Kareen Ror, & Friedlander, Stephen R. editors, The subject of Lacan, op. cit., pp. 165 - 172.

⁽¹³³⁾ De Kesel, Marc, Eros and Ethics, op. cit., P. 253.

ذاتي" وأن لغة اللاوعي موجهة دائماً لآخر، فمحاولة إظهارها في الجلسات سيكون ممكناً فقط من خلال وضع المحلل النفسي لنفسه في مكان هذا الآخر موضوع الرغبة.

وعلينا أن نؤكد أن احتلال المحلل النفسي لمكان موضوع الرغبة الذي يضعه فيه المحلل، لا يكون بدخوله بشخصه وسلطته كمحلل، فهو فقط يترك المحلل يضعه في هذا المكان دون إبداء لأي شيء يخص ذاته هو، بحيث يبقى هذا المكان مفتوحاً لكي يواجه المحلل رغبته، ويجد نفسه كذات تمتلك تلك الرغبة. وما يطلق عليه لاكان أخلاق التحليل النفسي مقصود بها أخلاق المحلل النفسي كما تكلمنا عنها، والتي تكمن في تجنب أن يحدث له أي خير أو سعادة من الجلسات، بمعنى ألا ينطلق من رغبته الخاصة بأن تتم رؤيته، وأن يخرج السلطة الأخلاقية التي يمثلها خارج اللعبة^(١٣٤).

وننتقل من التحليل النفسي إلى ربط لاكان بين سقراط وبين الحب كتحويل وإلى المكانة المحورية الذي يضعها له. وسنحاول هنا أن نأخذ نحن، أيضاً، كلام لاكان بجدية، كما يفعل دومًا مع سقراط، في قوله: "أنه في بداية التحليل النفسي كان الحب" وهو ما يعنى أن بنية التحليل النفسي كما تظهر في ممارسته في الجلسات النفسية هي نفسها بنية الحب. ونوازي ذلك مع قوله: "أن سقراط هو الحب"^(١٣٥) وتأكيد على أن سقراط سيكون وراء كل شيء نقوله في التحويل^(١٣٦) وأنه وراء كل شيء قاله أفلاطون في المأدبة.

وسنقوم هنا بتحليل موقع سقراط في علاقته بالحب وبالمحلل النفسي وباللاوعي، من خلال أكثر من جانب: الانطلاق من الجهل - رغبة المعرفة - طريقة الحوار من خلال الأسئلة والتوليد. وسنبعد عن إغراء التصنيف والتقسيم الذي نميل إليه، لنقترب من تصور لاكان عن سقراط، وتحليلنا لهذا التصور بصورة متداخلة هي الأقرب لحقيقته.

(134) Ibid, P. 253– 254.

(135) Lacan, Transference, op. cit., p. 5.

(136) Loc. Cit.

في موازاة سقراط مع التحليل النفسي ومع الحب سيكون علينا أن نتكلم عن أكثر من جانب لديه: حديثه عن ما هو الحب، وممارسته هو لهذا الحب بوصفه حب المعرفة عن طريق الحوار مع تلامذته منطلقاً من موقع الجهل، وعن طريق الأسئلة، ومتجهاً نحو المعرفة تحديداً من خلال توليد المعرفة لدى هذا الآخر التلميذ. وسيكون مهماً أن نوضح أن ما قاله في "المأدبة" عن الحب على لسان ديوتيميا حتى وإن كانت شخصية خيالية كما ذكرنا، قد تعلمه في وقت سابق على تشكل طريقته في الحوار والتوليد وفي وصفه لنفسه، بأنه "لا يعلم شيئاً" مضافاً إليه "إنه لا يعلم سوى الحب"، الذي علمته له ديوتيميا. ومن الممكن أن نرى الأمر بالمقابل بوصفه تحليلاً نفسياً ومعرفياً قام به أفلاطون في "المأدبة"، لما قام سقراط بممارسته في حياته كلها بالفعل.

وقد أخذ لاكان هذين التقريرين لسقراط بأنه لا يعرف وأنه لا يعرف سوى الحب بجدية في إطار تحليلاته النفسية على أسس بنيوية. وكما يقول لاكان: إن سقراط الأستاذ الذي يعلم الآخرين كل الآخرين. هو أشبه بالمحلل النفسي، ربما وهو يحتل بشخصه صورة الحب كما أبرزناها، وكما توصل لها لاكان في تحليله للمأدبة. ويوازي لاكان بوضوح في تحليلاته حول "المأدبة" بين الحب والتحويل وسقراط والمعرفة⁽¹³⁷⁾.

بنية الحب كما يتم طرحها في "المأدبة"، ويكشف عنها لاكان، هي علاقة غير ندية بين محب ومحبوب تنطلق من الرغبة، وهي البنية التي رأيناها في مجال التحليل النفسي في علاقة المحلل النفسي بالمحلل، والتي نراها في علاقة سقراط بتلامذته التي تنطلق من رغبة المعرفة. وينطلق كل من المحلل النفسي وسقراط من موقع الجهل، الذي أوضحنا أنه ليس جهلاً تاماً، ولكنه ما بين الاثنين، كما هو الحب. وهو ما يجعل كل من المحلل النفسي وسقراط يتحدث من خلال الأسئلة ولا يدخل بمعرفته هو، ولا بذاته كسلطة أخلاقية أو معرفية، بل يترك

(137) De Kesel, Marc, Eros and Ethics, op. cit., p. 322.

الأخر يظهر ما لديه من خبرة تخص اللاوعي عند المحلل النفسي، ومن معرفة في لا وعيه أيضًا عند سقراط. فهو لم يكن يدركها، ولم تكن متبلورة لديه، ولكنها كانت بداخله، كما يطرح التصور السقراطي/ الأفلاطوني عن المعرفة. كما نستطيع أيضًا أن نوازي بين المعرفة بوصفها تذكر عند أفلاطون/ سقراط وعند المحلل النفسي، فكما رأينا في العنصر السابق ينتقل المحلل إلى مرحلة العلاج حين يستطيع أن ينتقل من التكرار إلى التذكر. فالمعرفة عند أفلاطون/ سقراط كامنة لدى الإنسان في نفسه أو في لا وعيه بمصطلحات لاكان، وتظهر كتذكر مع الأسئلة التي تفجر هذا الكامن في اللاوعي لتتم رؤيته والتعبير عنه. بل نستطيع أن نوازي بين الأنا المثالية ووعيها الزائف عن نفسها، وتأكيد لاكان على كونها معيقة للعلاج، وبين المرحلة الأولى في الحوار السقراطي الذي يعبر به التلميذ عن توكيدات ومثالية وزائفة في الوقت نفسه.

وأعتقد أن هذا التحليل يعمق من فهمنا للطريقة السقراطية، وينقلنا إلى أخذ كل ما يقوم به سقراط بجدية بمعنى ألا نرى أن سقراط يكون لديه معرفة مسبقة يسقطها على المتحاور معه. وهو ما يفيد أيضًا في الربط بين طريقة سقراط وبين تصور أفلاطون عن المعرفة بوصفها تذكرًا. وسيكون جانبًا من الاختلافات التي نتوصل إليها بين تصور أفلاطون ولاكان. أن التذكر يأتي من موقع مثالي عند أفلاطون، من عالم المثل، ومن موقع واقعي ومادي عند لاكان، وفي الوقت نفسه نرى أن هذا لا يمنع أن التذكر عند أفلاطون يأتي من داخل النفس الإنسانية كما هو عند لاكان. وعليه ومن خلال القراءة لمحاورات أفلاطون والتعليقات الحديثة حولها نستطيع أن نؤكد على أن أفلاطون قد اهتم بالتعبير عن النفس الإنسانية في إطار زمنه من حيث الأدوات المعرفية، وبطريقة تسبق زمنه من حيث عمق تناوله للمسألة. كما نستطيع أن نبرز جانبًا آخر في الاختلاف بين طريقة سقراط مع محاوريه/ تلامذته، وبين المحلل النفسي في علاقته بالمحلل، فإن المحلل النفسي يتعامل مع آخر لديه معضلات يعاني منها ويلجأ للعلاج للتخلص منها، أما سقراط فهو يتعامل مع أشخاص يدعون المعرفة، ويبدأون من موقع مريح

وليس مؤلماً ولكنها راحة زائفة. وهذه الملاحظة لا تنفى التشابه بين بنية العلاقتين التي أشرنا إليها سابقاً.

ويتأكد تحليلنا هذا من قول لاكان: "إن اللحظة الأساسية والأولية التي نسأل فيها أنفسنا عن المحلل النفسي، هي اللحظة التي قال فيها سقراط إنه لم يدع أبداً أنه يعرف شيئاً إلا في موضوع الحب، أي الرغبة"^(١٣٨). وفى رؤيته أن سقراط يعبر هو نفسه بشخصه مجازياً عن وضع المحلل النفسي بمثال واقعي^(١٣٩). ولنقترب أكثر من التوازي الذي يقيمه لاكان بين الرغبة التي تحرك الحب والرغبة التي تحرك المعرفة.

ونبرز هنا قول لاكان: "أن كل ما سنتكلم فيه عن التحويل وراءه سر سقراط واعترافه بالسر وهو أنه "لا يعرف شيئاً"، ولن يبطل اعترافه بالسر كونه سرّاً. إن ما يقوم به أفلاطون هنا هو رؤية سقراط بوصفه حياً"^(١٤٠).

فما هو سر سقراط؟ وما معنى أن يكون سقراط هو الحب في إطار ممارسته للتفلسف، كما فعل لاكان؟ وكيف نرى نحن علاقة الحب بوصفه تحويلاً بالفلسفة بوصفها "حب الحكمة"؟

وننوقف أولاً عند رؤية لاكان عن تشابه سقراط مع ما أطلق عليه فرويد فيما بعد اللاوعي، فهو يولد معرفته في أي أحد، معرفة هو في الواقع لم يعرفها^(١٤١). وأضيف لا هو ولا المتحاور معه الذي سيولد تلك المعرفة فيه. ونلاحظ في مقارنة لاكان بين سقراط وأفلاطون أنه يقول إن أفلاطون "لم يجلب حافي القدمين، لم يكن هائماً، لم يتحدث إليه أي إله ولم يناديه وفى الحقيقة فأنا أعتقد أن الآلهة لم تعن له الكثير (أو لم يهتم بالآلهة كثيراً). إن أفلاطون هو سيد، سيد حقيقي"^(١٤٢).

(138) Lacan, Jacques, The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis, op. cit., p. 232.

(139) De Kesel, Marc, Eros and Ethics, op. cit., P. 323

(140) Lacan, Transference, op. cit., p. 5.

(141) Rajchman, John; Truth and Eros: Foucault, Lacan, and the question of Ethics, op. cit., p. 50.

(142) Lacan, Transference, op. cit., p. 74.

ونلاحظ هنا أن سقراط بالنسبة للاكان أولاً مندوه من قبل الآلهة، والآلهة عند لاكان تقع في مستوى الواقعي الـ Real هذا الذي نسعى للتعبير عنه عن طريق اللاوعي. وإن كان أفلاطون يسعى للتعبير عن المعرفة الإبستمية والحقيقة المرتبطة بها على لسان سقراط ومحاوريه. فإن سقراط يعبر عنها في أغلب الأحيان من خلال الأسطورة والحوار مع تلامذته. إنه ينطلق من هذا الموقع السلبي الخاص بالافتقار "عدم المعرفة" ليتلمس أو يقترب مما هو غير قابل للمعرفة أو التقديم، فيعبر عنه بكل ما يمكن التعبير به، أي كمحاولة للاقترب من خلال الأسطورة الرمزية التي تكشف عن بنية اللاوعي والرغبة المتشكلة من الحرمان من المعرفة هنا، والتي تختلف معناها عنده عن معناها عند أفلاطون، والذي يضعه على لسان سقراط أحياناً. فهي معرفة تحدث دائماً في إطار علاقة بآخر، ويكون هو في موقع سلبي يتيح للآخر أن يصل من خلال الأسئلة إلى معرفة لا واعية كانت كامنة بداخله. ومن ناحية أخرى يبرز لاكان أن سقراط كان تحولاً في طريق الاقترب من الحقيقة في وقته، وقد مثل قطيعة معرفية مع كل ما سبقه، ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن تلمسه للطريق هو بمثابة حب ينطلق من رغبة يؤسسها الحرمان أو الافتقار للمعرفة.

وإذا اقتربنا أكثر من مشروعية الربط بين الحب كتحويل وبين رغبة المعرفة، ننتقل إلى كشف لاكان عن الطابع التحويلي differential للمحاورة فيما يكشف عنه سقراط للمتحدثين من أن الحب هو بالأساس حرمان، كما علمته ديوتيميا، وأنا لكي نتحدث عن الحب حقيقة، أو لكي نريد أن نعرفه، علينا أن نتحدث عن هذا الحرمان. ويرى لاكان أن سقراط بهذا ينقل الحوار عن الحب إلى السؤال الأولى عن حب هذا الحوار. فهو يزيح السؤال عن الحب إلى رغبة أولية للمعرفة عن الحب وعلاقاته بالسعادة والخير. وهذا هو ما يعرفه سقراط، وما يجعل منه سيداً لتلك الرغبة في المعرفة وملاحقة الحقيقة⁽¹⁴³⁾.

(143) Rajchman, John; Truth and Eros: Foucault, Lacan, and the question of Ethics, op. cit., pp. 49 – 50.

وهكذا نستطيع أن نربط تصور الحب كتحويل عند لاكان مع حديث ديوتيميا لسقراط عن كون الحب وسيلة لتحقيق غاية هي المعرفة أو الحكمة. وأن نربط أيضًا بين تلك الغاية المعرفية وبين الحب في التحليل النفسي الذي يسعى فيه المحلل النفسي للغاية نفسها^(١٤٤). وهي هنا معرفة المحلّل. وينقلنا أفلاطون على لسان ديوتيميا من الحب بوصفه يمتلك الجمال إلى الحب بوصفه حرمانًا يسعى لامتلاك الجمال في موضوع ما لدى الآخر، وإن كانت الحكمة هي الأكثر جمالاً بين الأشياء كما تقول ديوتيميا، فالحب هو فيلسوف لا يمتلك الحكمة، وليس في موقع الجهل التام بل هو في موقع ما بين الاثنين. إنه "فيلسوف" يسعى للحكمة. ولنتذكر هنا نسبة الحب إلى أم تمثل الحرمان وأب يمثل الغنى والحكمة^(١٤٥). وتكتمل الصورة في ترابط الحب والفلسفة اللذين قامت ديوتيميا بجعلهما مترادفين، بإيرادها لتصور الشيطاني Demon الذي يعبر عن طبيعة الحب أو روحه، وهو التصور الذي أوضحنا تشابهه مع اللاوعي. ولمزيد من اكتمال صورة الموازنة بين طريقة سقراط الخاصة في التفلسف وبين الحب نعود لتصور ديوتيميا عن ارتباط الحب بالإنجاب، فموضوع الحب أو ما يسعى إليه ليس ببساطة جميل، بل هو إنجاب الجميل، ومن أجل الخلود الذي يتولد عنه إنجاب الجميل^(١٤٦). ومن الواضح ارتباط الحديث عن الإنجاب بطريقة التوليد لدى سقراط، وحديثها عن طبيعة الميلاد في الألم بما تحمله فجوة الحرمان من ألم تسعى الرغبة لملئه بالحب عند لاكان.

وبعد توضيحنا لمشروعية ربط الحب كتحويل بالفيلسوف، سنحاول من خلال تصور ديوتيميا عن الحب بوصفه رغبة في الخلود، أن نقدم خاتمة لموضوع الحب كتحويل في التحليل النفسي وفي الحياة ولدى أفلاطون وفي ممارسة سقراط. وسنورد نصًا طويلًا لأول مرة للوصول إلى ما نصبو إليه، وأيضًا للتأكيد على ما

(144) Fink, Bruce, Lacan on Love, op. cit., 82.

(145) Plato, Symposium, op. cit., P. 41.

(146) Ibid, P. 45.

نفترضه من كون خطاب أفلاطون في جانب مهم فيه خطاب عميق حول تحليل النفس البشرية.

تقول ديوتيميا: "أعتقد أن الوقت الذي نصف فيه أي شيء حي بكونه حيًا، وبكونه نفس الفرد من الطفولة للشيخوخة. الحقيقة أنه طوال الوقت يتجدد، على مستوى الجسد، وأيضًا على مستوى الروح. عادات الروح وخصائصها ومعتقداتها ورغباتها ومتعتها وآلامها ومخاوفها، كل هذا لا يستمر ثابتًا في الفرد بل إن بعضه يأتي للوجود والبعض الآخر يختفي. وهو ما يحدث أيضًا على مستوى كل شيء نعرفه، ونحن نراجع أو نمارس لأن المعرفة تتركنا. إن النسيان هو فقدان المعرفة والمراجعة بأن نزرع معرفة جديدة مكان التي رحلت مما يحافظ على معرفتنا لكي تبدو وكأنها هي نفسها. وبتلك الطريقة فإن كل ما هو فان يتم الحفاظ عليه، ليس بأن يبقى هو نفسه تمامًا للأبد، وهو ما يخص الإلهي، لكن بأن يأتي شيء جديد من نفس النوع مكان ما قد شاخ ومات. ومن هنا أهمية الإنجاب. فالحماسة الشمولية، والحب هو من أجل الخلود^(١٤٧).

أفلا نستطيع أن ننظر إلى الخلود الذي يتحدث أفلاطون عنه هنا بوصفه الخلود في لحظة الهنا والآن، التي يقدمها التحليل النفسي. أرى مشروعية ذلك بوضوح فإنجاب الأفكار الجديدة أو الخصائص الجديدة.. إلخ لا تحدث مرة واحدة ولا في نهاية الحياة، ولا حتى في خلودك بعد الموت من خلال أعمالك أو ذكريات الناس عنك. ولكنه يحدث طوال الوقت مع كل انتقال جديد من شيء ما يرحل وشيء ما يولد مكانه. مع توليد الأفكار الجديدة عند سقراط ومع قدرة المحلل أن يرى ويدرك لا وعيه بصورة جديدة. وفي الحالتين فالمحلل أو التلميذ مع سقراط هو من سيصل للحظات خلوده تلك عن طريق حبه للآخر المحلل النفسي أو سقراط الذي سيبقى دورهما في مكان الدال الفارغ- أي في حالة السلب أو عدم المعرفة- الذي يساعد في كلتا الحالتين على توليد المعرفة التي حين تكون جديدة،

(147) Ibid, pp. 45- 46.

وحيث تقوم بإزاحة الميت والمعتاد والمثالي والتماسك زيفاً، ستحقق خلودك في ممارستك لعلاقة الحب مع الآخر الذي يساعد ويشهد ليس فقط على حرمانك بل على سعيك المتجدد في هنا والآن ليس لتحقيق الرغبة في ملء فجوة الحرمان، الذي إن حدث فهو يوقف الرغبة والحرمان، وينتج الموت كما يقول لاكان، وإنما بصياغة حرمانك بصورة جديدة أو بالوصول إلى معرفة جديدة لن تثبت وتستمر، فهذا الثبات هو للإلهة كما تقول ديوتيميا، أما البشر فخلودهم هو ميلاد وموت وميلاد وموت متجددان.

الخاتمة

لقد قمنا في هذا البحث بتحليل نقدي لقراءة لاكان لموضوع الحب عند أفلاطون التي توصل لها عن طريق تحليلاته لبنية علاقة الحب عند أفلاطون كما ظهرت في محاورة المأدبة. والتي وصل منها لبلورة تصوره عن الحب بوصفه تحويلاً وبتطوير مصطلح التحويل الذي أخذه عن فرويد وبصياغة مصطلح جديد هو موضوع الآخر الصغير الذي أدخله في صلب نظريته في التحليل النفسي في تفسيره لعلاقة الذات بالآخر.

كما قمنا بالتأكيد من خلال اقترابنا من نص المحاورة على كون ما قدمه أفلاطون عن موضوع الحب، يبرز هذا الموضوع بوصفه علاقةً متطورة ومتحولة في الزمن تتميز بنيتها الأساسية بكونها تتشكل من عنصرين متميزين من حيث موقعهما الدلالي وهما المحب والمحبوب. الأول يتحرك من موقع الذات كما هي عند لاكان، بوصفها تنطلق من الرغبة المؤسسة على الحرمان والمتوجهة نحو موضوع ما عند المحبوب، والثاني يستقبل تلك الرغبة فيه، كموضوع يمتلك خصائصاً إيجابية، بالأنا التخليعية التي تزدهو بنفسها. ثم نأتي لعملية التحرك في تلك البنية وهي تحول المحبوب لمحب فيصل لموقع الانطلاق من ذاته التي تمتلك، كما عبر أفلاطون، كافة الفضائل الخاصة بالحب من شجاعة وتضحية.. إلخ. فبرغم انطلاق تلك الذات من الحرمان كما يؤكد أفلاطون، إلا أننا نستطيع

أن نفس امتلاكه لتلك الفضائل في حدود كونها هي الفاعلة والراغبة، أي المحبة. وهو تفسير استكمالي لم نجده واضحا عند أفلاطون، ولكننا نجده ملائما. وقد لاحظنا أن المحب عند أفلاطون يختلف عنه عند لاكان في كونه لا يبين بوضوح أن الرغبة التي ينطلق منها الحب غير قابلة للتحقيق، أو أن الحرمان غير قابل للملء، كما هو الأمر عند لاكان، بل نعتقد أن أفلاطون يبرز إمكان الوصول لذلك، وخاصة حين نتحدث عن رغبة الحب تلك بوصفها رغبة في المعرفة تقع فيما بين الاثنين، أي تبدأ من الجهل لتصل الى الحكمة. ومع ذلك فقد أبرزنا أن معالجة أفلاطون للأمر على لسان ديوتيميا، في الجزء الخاص بتصويرها لفكرة الخلود عن طريق الإنجاب، نجد فيه نوعا من الاستبدال المستمر، بين شيء يموت وشئ يولد، وتأكيدا على أن الامتلاك لشيء ثابت هو فقط من شأن الآلهة. وهذا يتيح لنا التأكيد أن امتلاكنا لموضوع الرغبة - سواء كان الجمال أو الخير أو الحكمة - غير مكتمل ولا منته، من حيث "موت" ما قد امتلكناه وانطلاقنا من رغبة جديدة للوصول لشيء جديد. وتكرارية الموت والميلاد نلاحظ وجودها عند لاكان بصورة تختلف قليلا، من حيث أننا في وصولنا لموضوع الرغبة، الذي نسقطه على الآخر، نكتشف كل مرة أننا لم نصل حقيقة لملء الرغبة التي لا تشبع أو تمتلئ أبدا. وربما نستطيع أن نتلمس جانبا أكثر إيجابية أو تفاؤلا في تصور أفلاطون لكنه يتضمن أيضا الحركة، التي إن كانت تنشأ عن شيء فهي تنشأ عن تجدد الحرمان والانطلاق من الجهل كما رأينا مع سقراط، وإن كان حرمانا جديدا يسعى لإشباع معرفي جديد. ولكن يبقى أن الانطلاق من حب الآخر أو حب المعرفة عنده يتميز بتأسسه على الحرمان المتمثل في لحظة الجهل على المستوى المعرفي. وعليه نصل إلى تأكيد جديد على كون الفلسفة هي "حب الحكمة" أي أنها سعى مستمر للوصول للحكمة لا يتحقق بالكامل أبدا.

وقد توصلنا من بحثنا إلى إظهار الاختلاف، الذي تناوله العديد من الباحثين بين أفلاطون وسقراط، إلا أننا قد أبرزناه تحديداً في الجانب الخاص ببنية التوجه المعرفي لدى كل منهما، من حيث كون الأول يهتم بتأسيس بنية معرفية متماسكة

سعى لتطبيقها في مجال السياسة والأخلاق وغيرها، أي كان له موقف متماسك
سعى لتطبيقه. أما الثاني - سقراط - فقد انطلق دوماً من موقع الجهل ومن ممارسة
الحوار مع آخر ليصل إلى توليد معرفة لدى ذلك الآخر تتبعث من داخله. ولهذا
كان سقراط، وليس أفلاطون، هو من يتماهى مع موضوع الحب من ناحية ومن
يتشابه موقعه مع المُحلل النفسي من ناحية أخرى. وبالانطلاق من هذا التحليل
نستطيع التأكيد أن استخدام أفلاطون لسقراط، ولطريقة الحوار، يعد بمثابة المنهج
الذي استخدمه للوصول لمعرفته المتماسكة، وأن محاوراته هي بنية لمسرح يتضمن
كل ما يتضمنه فن المسرح من حركية وتنوع يوصلنا من خلالها لرؤية متماسكة،
هي رؤية أفلاطون مخرج هذا العمل.

كما توصلنا من خلال البحث إلى إبراز مشروعية موازاة لاكان لبنية التحليل
النفسي مع بنية الحب، ومع البنية التي تكمن خلف طريقة سقراط في توليده
للمعرفة في الآخر بالانطلاق من موقع الجهل والرغبة في المعرفة، وقيامه بذلك
عن طريق الأسئلة. وهو ما أوضحنا ضرورة وجوده لدى المحلل النفسي في رأى
لاكان، إذ أن ما يجب على المحلل النفسي أن يصل إليه، وما يقوم به سقراط
بالفعل، هو استبعاد ذاته المعرفية التي تنطلق من موقع امتلاكها لمعرفة ثابتة
ومتماسكة عن الموضوع. وقد أكدنا أن تلك الرؤية تكتمل بفهم توليد سقراط
للمعرفة عند الآخر بصورة جدية لا مجازية، أي من حيث كون تلك المعرفة
موجودة بالفعل في لا وعى الآخر، أو في نفسه بمصطلحات أفلاطون. كما
توصلنا إلى إمكان رؤية الدور الذي يلعبه التذكر في منهج التوليد عند سقراط،
على ضوء دوره في التحليل النفسي بوصفه إزاحة للأنا المثالية والعاطفية
بتخيلاتها الوهمية عن نفسها عند لاكان، ولمعرفتها الزائفة والمتماسكة في بداية
الحوار عند سقراط. ثم تحول تلك الأنا المثالية إلى ذات قادرة على الاقتراب من
معرفة بنفسها أكثر قدرة على التعبير عن كينونة الإنسان الكامنة في لاوعيه، كما
يرى لاكان، ومن الخير والجمال والحكمة القائمة في النفس الإنسانية عند
أفلاطون.

وعلى الرغم من الاختلاف الظاهر بين المُحلَّل والتلميذ، من حيث كون المُحلَّل يأتي في حالة ضعف، والتلميذ يأتي حالة قوة، فمن الممكن وفق نظرية لاكان أن نرى أن موقع تلميذ سقراط، في الحقيقة، هو موقع حرمان ورغبة في المعرفة، وأن القوة التي يأتي بها في البداية تنتحرك من غشاوة انطلاق الأنا التخيلية من معرفتها المتماسكة عن نفسها، وهو ما يحدث في مرحلة ما في العلاج النفسي.

وعلى أي حال، وبعيداً عن التشابهات المشروعة للعلاقة بين المُحلَّل النفسي والمُحلَّل وبين سقراط والتلميذ على مستوى بنية العلاقة نفسها، فإننا نستطيع أن نبرز الاختلافات الخاصة بمحتوى العلاقة نفسه، إن جاز التعبير، فسقراط ينطلق من رغبة تجاه الجمال والخير والمعرفة ويساعد الآخر في الكشف عن هذه الخصائص داخله. وهو يهتم بالإنسان الذي يعمل على شيء عظيم ويساعده على الوصول منه لما هو أهم وأكبر وأقرب للاكتمال، أما لاكان فيأتيه غالباً غير القادرين والمنكسرون. كما أن سقراط يفترض وجود الخير والجمال بداخلنا. ويمكننا القول، بشكل عام، أن سقراط يسعى لمساعدة تلميذه على الوصول لنوع من الكمال، ووعيه بالجهل هو ما يساعده على الوصول إلى ذلك الكمال، وهذا بخلاف لاكان الذي أعتقد أن تصور الكمال غير وارد عنده.

وإجمالاً، فقد توصلنا إلى إبراز تقديم لاكان، من خلال تحليلاته، تصورا جديدا للحب عند أفلاطون، يتأسس على ربطه الحب بمجال التحليل النفسي من ناحية، وعلى الاقتراب منه بمنهج بنيوي من ناحية أخرى. فقد سمحت لنا تحليلات لاكان برؤية للحب عند أفلاطون تبتعد عن ربطه الشائع بالمثالية، وتبرز ما يتضمنه الحب، بكافة أشكاله، من عدم ثبات وحركية تجعله عملية مستمرة ومتطورة لا تتضمن إمكان الوصول النهائي للحكمة أو الخير. وتتأسس مشروعية تلك الرؤية، في حدود كونها تأويلاً ممكناً، إذا ما افترضنا أن أفلاطون لا يستبعد الحب الجسدي، أي توجه المحب تجاه الجمال الجسدي لدى المحبوب بل يراه مرحلة أساسية كما هو معروف، ولكن لا يتم تجاوزها- في تصورنا- بالمرحلة اللاحقة بل

تبقى متضمنة لما لها من دور أولي ولكنه أساسي. وتتأكد أيضا عدم مثالية الحب، إذا ما افترضنا أن الخلود المبنى على استمرار النوع يكون محايثاً وغير منفصل عن الوجود الشخصي. وتتأكد أخيراً إذا ما أخذنا بجدية فكرة وجود عالم المثل داخل كل نفس بشرية، وهو ما لا يستلزم -في رأبي- ضرورة القول بعدم مفارقتة. وستتطلب منا تلك الرؤية الابتعاد عن النظر لمراحل صعود النفس، بوصفها تدرجاً من الأدنى للأعلى يتم فيه استبعاد الأدنى، والتأكيد بالمقابل على أنها تحول وانتقال لا يُستبعد فيه القيمة الخاصة بالأسبق.

وأخيراً فقد توصلنا، من خلال البحث، إلى تبيان الموقف الذي تحرك به لاكان في تحليله للمحاورة والمرتبطة بمنهجه البنيوي/ النفسي في التحليل، الذي يتمثل في الاقتراب من المحاورة كوحدة تتضمن عناصراً متعددة تدخل في علاقات استيعادية وتأكيديّة تظهر خلال التحولات والنقلات التي تتضمنها المحاورة لتشكل شبكة بنيوية متحركة، تعبر عن موضوع الحب عند أفلاطون. إذ أكد لاكان، من خلال تحليلاته التفصيلية للمحاورة، أن كل ما ورد بها كان مقصوداً من أفلاطون، وله دلالاته التي تشكل بنيتها العامة، مثل الأقوال والأفعال واختيار الشخصيات والمهن الخاصة بها، بل والتحويلات التي تحدث في أدوار المتحدثين، وكونه قدم المحاورة على لسان راوٍ قام بسماعها ونقلها عن طريق الذاكرة، ناهيك عن انتشار أنواع الخطاب الساخرة والأسطورية والغامضة، فضلاً عن المستويين الواضح والخفي للخطاب، وحديث سقراط عن الحب على لسان أنثى، ونقل ألقبياديس للحوار لمستوى الخطاب الشخصي المباشر.. وغير ذلك.

وعلى مستوى منهجي فقد توصلنا من بحثنا إلى دمج تصورين، الأول كنا ننتمي له بصرامة ويتمثل في أن قراءة النصوص القديمة يجب أن تهتم بإبراز اختلاف البنية المعرفية المرتبطة بالعصر الذي نشأت فيه، وأن حقيقتها تنتسب للحدود المكانية والزمانية لتلك البنية. والثاني يعتمد على الاقتراب المباشر من النص وقراءته في ذاته، من خلال البنية المعرفية التي ننتمي لها، ولكن بتوضيح ما به من حقيقة شمولية ومستمرة. وستعتمد شمولية الحقيقة هنا على صورتها

البنيوية، القادرة بحكم تلك الصورية على ضم تعدد واختلاف الحقيقة المرتبط بالعصور والمجتمعات المختلفة. وعليه نستطيع أن نقول أن بنية الحب، التي كشف عنها لاكان عند أفلاطون، هي بنية صورية قابلة لأن تضم داخلها تعددية من التصورات المختلفة، بما فيها تصور الحب كتحويل عند لاكان. ولن تستبعد تلك البنية بالتالي خصوصية واختلاف تصور الحب عند أفلاطون في علاقته بعصره ومجتمعه على المستوى المعرفي والثقافي والأخلاقي^(١٤٨).

قائمة المراجع

المصادر الأجنبية

- Lacan, Jacques, Transference, The Seminar of Jaques Lacan, Book VIII, (1960– 1961), tr. Cormac Gallagher, Karnac publisher, 2002.
- Lacan, Jacques, The Four Fundamental Concepts of Psychoanalysis, The Seminar of Jacques Lacan, Book XI, ed. Jacques-Alain Miller, Tr. Alain Sheridan, W. W. Norton & Company, 1998.
- Plato, The Symposium, Edited by M. C. Howatson & Frisbee C.C. Sheffield, tr. M. C. Howatson, Cambridge University Press, 2008.

المصادر العربية

- أفلاطون، مائدة أفلاطون، ترجمة محمد لطفي جمعة، تصدير ودراسة مجدي عبد الحافظ، المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩.
- أفلاطون، محاورة فيدروس لأفلاطون أو عن الجمال، ترجمة وتقديم أميرة حلمي مطر، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.

^(١٤٨) يظهر هذا الطرح بطرق مختلفة عند دلوز وباديو وغيرهم. وقد حاولت إبرازه في بحث عن الفلسفة والسينما عند باديو واستكملته هنا على مستوى تطبيقي فيما توصلت له من معالجة لتحليلات لاكان لمحاورة المأدبة.

- أفلاطون، الجمهورية، دراسة وترجمة، فؤاد ذكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

المراجع الأجنبية

- Badiou, Alain, & Truong, Nicolas, In praise of love, Peter Bush tr., Profile Books Ltd- Serpent's Tail, 2012.
- Badiou, Alain & Roudinesco, Elisabeth, Jacques Lacan Past and Present, Jason E Smith tr., Columbia University Press, 2014.
- Bailly, Lionel & Lichtenstein, David eds, The Lacan Tradition: Lines of Development Evolution of Theory and Practice over the Decades, Routledge, 2018.
- Balint, Michael, Primary Love and Psychoanalytic Technique, H. Karnac (Books) Ltd, 1994.
- Barnard, Suzanne & Fink, Bruce eds., Reading Seminar XX: Lacan's Major Work on Love, Knowledge, and Feminine Sexuality, State University of New York Press, Albany, 2002
- Benardet, Seth, Socrates and Plato: The Dialectics of Eros, Carl Friedrich von Siemens Stiftung, Miinchen, 1999.
- Chiesa, Lorenzo, Subjectivity and Otherness: a philosophical reading of Lacan, The MIT Press, Cambridge, 2007.
- Corrigan, Kevin & Elena Glazov-Corrigan, Plato's Dialectic at Play: Argument, Structure, and Myth in the Symposium, Pennsylvania State Univ Press, 2004.
- Demandante, Darlene, Lacanian Perspectives on Love, In Kritike Volume 8 no 1, 2014. pp 102– 118.
- De Kesel, Marc, Eros and Ethics: Reading Jacques Lacan's Seminar VII, Sigi Jottkandt tr., State University of New York Press, Albany, 2009.
- Evans, Dylan, An Introductory Dictionary of Lacanian Psychoanalysis, Routledge, Taylor & Francis e-Library, 2011.

- Fink, Bruce, The Lacanian Subject: Between Language and Jouissance, Princeton University Press, 1996.
- Fink, Bruce, Lacan on Love: An Exploration of Lacans Seminar VIII, Transference, Polity Press, Cambridge, 2016.
- Grigg, Russell, Lacan Language, and Philosophy, (SUNY series) State University of New York Press, 2008.
- Iriagray, Luce & Kuykendall, Eleanor H., A Reading of Platos Symposium, Diotimas Speech, In Hypatia Vol. 3, pp. 32– 44.
- Julien, Philippe; Jacques Lacan's Return to Freud: the Real the Symbolic and the Imaginary, Devra B. Simiu tr., New York University Press, N.Y. London, 1994.
- Lewis, Michael, Derrida and Lacan: Another Writing, Edinburgh University Press, 2008.
- Malone, Kareen Ror, & Friedlander, Stephen R. editors, The subject of Lacan, State University of New York Press, 2000.
- Park, Youngjin, On Love: Between Lacan and Badiou, A thesis for the degree of doctor of philosophy, Centre for Comparative Literature, University of Toronto, 2018.
- Ragland-Sullivan, Ellie, Jacques Lacan and the Philosophy of Psychoanalysis, University of Illinois Press, Urbana & Chicago, 1987.
- Rajchman, John; Truth and Eros: Foucault, Lacan, and the question of Ethics, Michel Foucault, Jacques Lacan, Émile Marie, Routledge, London & N.Y., 2010.
- Roudinesco, Elisabeth, Jacques Lacan: A Biography, tr. Barbara Bray, Columbia University Press, 1996.
- Samuels, Robert, Between Philosophy and Psychoanalysis: Lacan's Reconstruction of Freud, Routledge, N.Y. & London, 1993.

- Watson, Janell, Guattari's diagrammatic thought: writing between Lacan and Deleuze, Continuum International publishing group, 2009.
- Zafiropoulos, Markos, Lacan and Levi-Strauss or Freud's Return 1951-1957, John Holland tr., Karnac Books Ltd, 2010.
- Zizek, Slavoj, An introduction to Jack Lacan's through popular culture, MIT Press, 1992.

المراجع العربية

- ماري لومنيه وأود لانسولان، الفلاسفة والحب، ترجمة دينا مندور، دار التنوير، القاهرة، ٢٠٠٨.
- مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ: قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
- مصطفى صفوان، الكلام أو الموت: اللغة بما هي نظام اجتماعي دراسة تحليلية نفسية، ترجمة مصطفى حجازي، مركز دراسات الوحدة العربية بالمنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨.
- مصطفى صفوان، التحليل النفسي علمًا وعلاجًا وقضية، ترجمة مصطفى حجازي، نشر هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، الطبعة الأولى ٢٠١٦.